مسابقة الوحيين

مسابقة الوحيين السادسة
لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

المحور الثاني

نِعمُ الله
بين الشكر والكفر

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

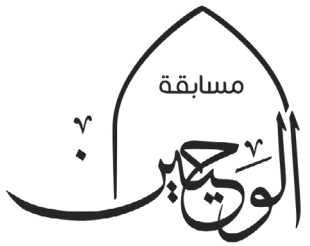

مسابقة الوحيين السادسة
لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية

سورة سبأ

نِعمُ الله بين الشكر والكفر

المادة العلمية لمسابقة الوحيين السادسة
نادي النورين
١٤٤٤هـ

المقدمة

الحمد لله باعث الهمم، المتفضِّل بأعظم المِنَن، الداعي إلى دار السلام بأوضح بيان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

لمَّا تفاوتت العقول واختلفت، وقصُرت عن الكمال مهما بلغت، كان لِزامًا على البشريَّة أن تُجمَع على منهجٍ قويمٍ ثابتٍ تسير عليه، يكون به صلاح حياتها وهناء روحها.

ومع التنوع الكبير والتباين العظيم بين الناس وعقولهم ومقاصدهم، استحال الإتيان بمنهجٍ واحدٍ يصلحُ لهم في جميع أحوالهم ومديد أزمانهم، إلا أن يكون من العليم بهم الخبير بما يُصلح شؤونهم.

هنا.. تجلّت رحمة الخالق جلّ جلاله، بإنزال الوحي وإرسال الرسول محمد ﷺ، فأرشدَ بهِ خلقه إلى طريق النورِ بعد الظلام، والهداية بعد الضلال، ووعد بالفوز العظيمِ في الدنيا والآخرة لمن اتّبعَ ولزم، وآمن وثبت.

وكلَّما كان الزمن أشد فتنة؛ كان جزاء الاتِّباع والثَّبات أجزل وأعظم.

لذا فالحاجة إلى التذكير الدائم بالثبات على الطريق (كتاب ربِّنا وسنة نبيِّنا ﷺ) من أهمِّ الحاجات وأجلِّ المُهِمَّات.

ومن هذا المنطلق أُطلِقت مسابقة (الوحيَيْن)، لتكون وسيلة بين يديكِ للإقدام على حفظهما وفهمهما، والعمل بهما، والدعوة إليهما.

ومن هنا؛ تَشرُفُ جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل، مُمَثَّلة بنادي النورَيْن، بإقامة مسابقة الوحيَيْن لعامها السادس.

وتَبَعًا لذلك؛ تمَّ إعداد هذا الكتيب الخاص بـ (سورة سبأ) إحدى محاور المسابقة، والذي يُخوِّلكِ الارتواء من معين السورة؛ حفظًا لآياتها، ولأحاديث ذات مُناسَبَة لها، وفَهمًا لتفسيرها، واهتداءً بهداياتها، وبما شملته من أعمال قلبية... وغير ذلك.

ما مسابقة الوحيين؟

مسابقةُ الوَحيَيْن هيَ مسابقةٌ سنويَّة، يُقيمها نادي النورَيْن، التابع لجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل؛ لإتاحة فرصة التنافُس في حفظ القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، بين طالبات الجامعة.

تهدف المسابقة إلى تشجيع المشاركات على حفظ القرآن الكريم وفَهمه وتدبُّره، وربطه بالسُّنَّة النبويَّة وحفظِ شيء منها؛ وذلك من خلال ثلاث سُور مختارة، مع مادة تدبُّريَّة مُعَدَّة لكل سُورة، تكونُ مرجعًا للمتسابقات، وعليها يقوم التنافس.

وبتوفيق الله ومنِّه، تتجدد المسابقة في دورتها السادسة لهذا العام ١٤٤٤هـ، برعاية كريمة من معالي مدير الجامعة: د.عبد الله بن محمد الربيش- حفظه الله.

سُور مسابقة الوحيين السادسة ومحاورها:

١. **(سورة القصص):** وفيها بيان سُنَّة الله في تمكين المؤمنين المُستضعفين، وإهلاك الطُغاة المُستكبرين.

٢. **(سورة سبأ):** وفيها بيان أحوال النَّاس مع النِّعَم، وسُنَّة الله في تغييرها.

٣. **(سورة الحديد):** وفيها الترقِّي بالنُّفوس للإيمان والإنفاق في سبيل الله.

وللمزيد عن المسابقة: يُرجى مُتابعة مُغرِّد نادي النوريَن **Nourainclub**

محتوى الكُتيب وأهم المراجع(*)

١. **التعريف بالسورة** ويشمل: (اسم السورة، ونوعها، وفضلها، ومحورها، وتقسيمها حسب موضوعاتها).

وقد قُسِّمت سورة سبأ إلى مقدمة وتسعة موضوعات، أُفرِد كل موضوع في مقطع، تناول كل مقطع ما يلي:

٢. **آيات المقطع** أدرجت مكتوبة بالرسم العثماني.

٣. **المناسبات** بُيِّنت المناسبة بين كل مقطع وسابِقِه، كما بُيِّنت مناسبات أخرى بين بعض الآيات في المقطع الواحد.

٤. **بيان غريب الآيات** واعتُمِد فيه على كتاب: السراج في بيان غريب القرآن، لمحمد الخضيري.

٥. **التفسير** واعتُمِد فيه على: المختصر في التفسير.

٦. **(مِن معين الآية)** وهو عنوان أُدرِج بعد كل آية، وتحته مجموعة من الفوائد المُنوَّعة ما بين (عِلْميَّة، وتربويَّة وإيمانيَّة، وعمليَّة) تم تصنيفها بناءً على ما يلي:

- **الفوائد العِلميَّة**: وتشمل كل ما يتعلَّق بعلوم الآية (من عقيدة، وفقه، وبلاغة، ونحو ذلك).
- **الفوائد التربويَّة والإيمانيَّة**: وتشمل كل ما يتعلَّق بالسلوك والأخلاق، وعرض النَّفس على الآيات ومُحاسبتها.
- **الفوائد العَمَليَّة**: تشمل كل ما يُمكن أن يُطبَّق عَمَلِيًّا.

(*) بُيِّن في هذه الصفحة المرجع الأساس لكل عنصر من عناصر المادة، وبعض العناصر لتعدد مراجعها لم نبينها هنا، واكتفينا ببيانها في صفحة المراجع.

وتمَّ تمييز كل فائدة بلون حسب تصنيفها على النحو التالي:

الفوائد العلميَّة **الفوائد التربويَّة** **الفوائد العمليَّة**

وألحقت كل فائدة بقائلها، مع رقم يُشير إلى مرجعها في صفحة المراجع.

٧. **أسماء الله الحسنى**: تمَّ التَّركيز على بعض أسماء الله تعالى الحسنى الواردة في السُّورة؛ ببيان معناها، وبعض الهدايات والآثار السلوكيَّة المُستفادة من العلم بها، وغير ذلك. واعتُمِد كتاب: ولله الأسماء الحسنى للجليل، كمرجع أساسي للمادة.

٨. **أعمال القلوب**: استُنبطت بعض أعمال القلوب البارزة في السورة، و بُيِّن معناها، والطريق إلى تحقيقها، وبعض ثمراتها، وغير ذلك. واعتُمِد كتاب: أعمال القلوب لخالد السبت، كمرجع أساسي للمادة.

٩. **أحاديث نبويَّة**: أُلحق كل مقطع بأحاديث صحيحة ذات مناسبة لبعض آياته، مع تعليق يسير على موضع الشاهد منها.

١٠. **المقاطع الإثرائيَّة**: خُتِم كل مقطع بـ (رمز) يحوي مادة صوتيَّة إثرائيَّة، مُقتطعة من محاضرة لتفسير السورة، تابعة لدورة الأترجة القرآنية.

١١. **خاتمة السورة**.

١٢. **المراجع**: قُسِّمت صفحة المراجع حسب عناصر المادَّة السابق ذكرها، وأُدرِج تحت كل عنصر مراجِعه.

أخيرًا...

شرف التنافس بشرف ما نتنافس لأجله، فهنيئًا لكِ تنافسكِ في هديِ الآي والسُّنَّة.

استحضري أخلَصَ النوايا فهي محل نظر الله سبحانه، واستعيني به لبلوغ أعلى الدرجات في الدَّارَيْن.

ألبسكِ الرحمن بالوحيَيْن الحُلل، و أسكنكِ بهما الظُّلل، وأطاب بهما عيشكِ، وأقرَّ بهما قلبكِ.

التعريف بالسورة

سُمِّيت هذه السورة الكريمة بِسورة (سبأ)؛ لتضمنها قصة قوم سبأ، وما أنعم الله عليهم من النعم، وما آل إليه حالهم من الكفر، ونهايتهم في ذلك. وليس لها اسم آخر غير هذا الاسم.

والسورة مكيَّة، وعدد آياتها أربع وخمسون آية[*].

وهي إحدى سور خمس مفتتحة بـ (الحَمْدُ لِلَّهِ) وهُنَّ كلُّها مَكِّيَّة وقد وُضِعَت في ترتيب القرآن في أَوَّلِهِ ووسطِهِ، والرُّبُعِ الأخيرِ، فكانت أرباعُ القرآنِ مُفْتَتَحَة بِالحَمْدِ لِلَّهِ[**].

فضائل السورة:

هذه السُّورة الكريمة من السُور المثاني، ومِمَّا ورَد في فضائل هذه السور الكريمة ترغيبًا في تلاوتها وتبيينًا لمزيَّتها:

حديث الصحابي الجليل واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»

أخرجه أحمد (١٦٥٣٤).

---

[*] التفسير الموضوعي (١٥٦/٦).

[**] ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣٥/٢٢).

من مقاصد السورة:

بيان أحوال النَّاس مع النِّعَم، وسُنَّة الله في تغييرها[***].

فالسورة تُحدِّثُنا عن استحقاق الله عزّ وجل للحمد، وعن طريق الحمد وعاقبته، وعن الكفر ونماذجه، وعاقبة أهله؛ وذلك من خلال الدعوة إلى:

- الإيمان بالآخرة، الذي هو الشرط الرئيسي للشكر؛ لأنَّ من لا يؤمن بالآخرة ولا يؤمن بالثواب والعقاب فيها، لا يُمكن أن ينهض لطاعة ربِّه وشكره.

- والإيمان بالقرآن، الذي هو الدليل على طريق الشكر.

- والإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، الذي هو القدوة في الشكر[****].

[***] المختصر في التفسير.

[****] بتصرف: سعيد حوّى، الأساس في التفسير (٨/ ٤٥٥٤).

التقسيم الموضوعي للسورة:

قُسِّمت السورة إلى **مُقدّمة وتسعة مقاطع**، على النحو التالي:

عنوان المقطع	آياته
المقدمة: استحقاق الله تعالى للحمد؛ لكماله وإنعامه.	١-٢
المقطع الأول: إثباتُ البعث والردُّ على منكريهِ.	٣-٩
المقطع الثاني: مثال عملي للأوَّابين الشاكرين، وعناية الله بهم.	١٠-١٤
المقطع الثالث: مثال واقعي لعاقبة من كفر بأنعم الله.	١٥-٢١
المقطع الرابع: إقامة الحجَّة على استحقاق الله وحده للعبادة، ووجوب شكره.	٢٢-٢٨
المقطع الخامس: استعجال المكذبين للعذاب، وحالهم عند وقوعه.	٢٩-٣٣
المقطع السادس: طبيعة المترفين وجوابهم لرسلهم.	٣٤-٣٩
المقطع السابع: عودٌ إلى مشاهد القيامة (تقريع الكفار أمام معبوداتهم).	٤٠-٤٢
المقطع الثامن: عودٌ إلى حال المشركين في الدنيا (شبهاتهم حول رسالة محمد ﷺ، والرد عليها).	٤٣-٥٠
المقطع التاسع: ختام تخويفي.	٥١-٥٤

بيان استحقاق الله سبحانه
للحمد؛ لكماله وإنعامه

المقدمة

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾.

معاني الكلمات

يَلِجُ	يدخُل
يَعْرُجُ	يصعَد

تفسير الآيات

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١﴾

الحمد لله الذي له كل ما في السماوات وكل ما في الأرض، خلقًا ومُلكًا وتدبيرًا، وله سبحانه الثناء في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره، الخبير بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

مناسبة

<u>مناسبة افتتاح سورة سبأ بـ{الحمدُ لِلَّهِ}:</u>

افتتحت السورة بـ{الحمدُ لِلَّهِ} للتنبيه على أنَّ السورة تتضمَّن من دلائل تفرُّده بالإلهية واتِّصافه بصفات العظمة ما يقتضي إنشاء الحمد له، والإخبار باختصاصه به.

ابن عاشور (١٣٥/٢٢)[١٢]

من معين الآية:

وَرَدَ الحمد في القرآن الكريم متعلِّقًا بنِعَم كثيرة ومتنوِّعة، واستفتح الله تعالى خمس سور بالحمد، كما اختتمت به بعض السور؛ وذلك للتذكير به والتنويه على فضله، وتنبيه الغافلين عن جلائل النِّعم فضلًا عن لطائفها.

التفسير الموضوعي[٢]

{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ} في هذه الصلة تعريض بكفران المشركين؛ الذين حمدوا أشياء ليس لها في هذه العوالم أدنى تأثير... ونَسُوا حمد مالكها.

ابن عاشور(٢٢/١٣٦)[١٢]

لماذا قرَن الله تعالى بين الحمد والمُلك في الآية؟

لأنَّ الملك بلا حمد يستلزم نقصًا والحمد بلا ملك يستلزم عجزًا، والحمد مع الملك غاية الكمال، ونظير هذا العزة والرحمة والعفو والقدرة والغنى والكرم.

هدايات القرآن الكريم[١١]

قال تعالى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ}، ما دلالة تخصيص الله حمده في الآخرة مع أنَّه محمود في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: {لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ} [القصص:٧٠]؟

لأنَّ في الآخرة يظهر من حمده، والثناء عليه ما لا يكون في الدُّنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى النَّاس والخلق كلهم ما حكَم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه؛ حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب؛ ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأنَّ هذا من جزَاء أعمالهم، وأنَّه عادلٌ في حُكمِه بعقابهم.

السعدي[٦]

أسماء حسنى

(الحكيم والخبير جل وعلا)

- **معنى اسم الله الحكيم جل جلاله:**

- **في اللغة:** "قيل الحكيم ذو الحكمة؛ والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويُقال لمن يُحسِن دقائق الصناعات ويُتقنها: حكيم...".

- **في حقِّه جل جلاله:** يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: "هو الذي له الحكمة العُليا في خلقه وأمره، فلا يخلق عبثًا، ولا يُشَرِّع سدًى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك؛ فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قَدَره، وجزاءه، والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها".

- **معنى اسم الله الخبير جل جلاله:**

- **في اللغة:** الخبر، والخبرة: العلم بالشيء، وخبرت الأمر أخبره: إذا عرفته على حقيقته.

- **في حقِّه جل جلاله:** قال ابن القيم -رحمه الله-: "الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها".

وقال الغزالي -رحمه الله-: "هو الذي لا تعزُبُ عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا يتحرك ذرة ولا يسكن ولا يضطرب نَفَسٌ ولا يطمئن إلا ويكون عنده خبره؛ وهو بمعنى العليم إذا أُضيف إلى الخفايا الباطنة".

- **مناسبة الاقتران بين اسمي الله تعالى "الحكيم والخبير" في الآية:**

- اقترنتِ الحكمةُ بالخبرةِ -والحكمةُ دائمًا يَقْرِنُها اللهُ عزَّ وجلَّ بالعِزَّةِ وبالعلمِ-؛ وهنا قُرِنَتْ بالعلم الَّذي تتضَمَّنُه الخبرة، وإنَّما يقرِنُها الله عزَّ وجلَّ بذلك؛ ليتبيَّن أنَّ حكمتَه سبحانه وتعالى مَبنيَّةٌ على عِلمه، وأنَّه إذا تراءى لأحدٍ أنَّ هذا الشيء ليس بحكمة؛ فذلك لِنُقصان عِلمِه، وإلَّا لو كان عنده عِلمٌ وفَهمٌ لعرَف أنَّ الحكمةَ فيما شَرَعَه اللهُ عزَّ وجلَّ وفيما قَدَّرَه(*).

- وفي التتميم بهذين الوصفين إيماء إلى أنَّ المقصود من الجملة قبله استحماق الذين أقبلوا في شؤونهم على آلهة باطلة[**].

- **هدايات:**

- مَن عَلِم حقَّ اليقين أنَّ كلَّ ما في الكون وما قُدِّر له في شؤون حياته من لدن حكيم خبير لن يبرح له همٌّ في قلبه.

- حكمة الله تعالى قُرِنَت بخبرته؛ فأيُّ تدبير في الحياة أفضل من تدبيره جل جلاله؟ لا يسعنا إلا الانقياد والاستسلام لشرائعه وحكمه سبحانه.

- **من الآثار السلوكية والعملية:**

- حكيم خبير؛ يُربِّينا بالعطايا والابتلاءات، هل استحضرنا ذلك فشكرنا وصبرنا؟

- الخبير هو العالم بخفايا شخصيتك وأسرار مستقبلك؛ لا تغتر بخزعبلات شياطين كهنة الأبراج والنجوم.

- **من ضوء الهدي النبوي في اسمي الله تعالى "الحكيم والخبير":**

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}» رواه البخاري (٤٦٢٧).

- **من التأمُّل في الآيات الكونيَّة وربطها باسمي الله تعالى "الحكيم الخبير":**

- الحكيم الخبير سبحانه فَطَر مخلوقاته على استحسان وضع الشيء في موضعه، واستقباح عداه.

- إرادة الله عز وجل متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، أمَّا حكمة الإنسان فهي أمر نسبي، ولا يحيط بالخير كله مهما بلغت خبرته.

[*] ابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين سورة سبأ (١٨).
[**] ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٣٧/٢٢).

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾.

يعلم ما يدخل في الأرض من ماء ونبات، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرزق، ويعلم ما يصعد في السماء من الملائكة وأعمال عباده وأرواحهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، الغفور لذنوب من تاب إليه.

من معين الآية:

لو أنَّ أهل الأرض جميعًا وقَّفوا حياتهم كلَّها يتتبَّعون ويحصون ما يقع في لحظة واحدة مما تشير إليه الآية لأعجزهم تتبُّعه وإحصاؤه عن يقين.

هدايات القرآن الكريم[١١]

كلُّ قلب وما فيه من خواطرَ ونيَّات، ومَا لَهُ من حركات وسكنات، هو تحت عين الله، وهو مع هذا يستر ويغفر، سبحانه وتعالى.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}: ولما ذكَر مخلوقاته وحكمته فيها، وعلمه بأحوالها، ذكر مغفرته ورحمته لها.

السعدي[٨]

أسماء حسنى

(الرحيم والغفور جلّ وعلا)

- **معنى اسم الله الرحيم جل جلاله:**

- **في اللغة:** مشتق من صفة الرحمة؛ والرحمة: الرقة والتعطف، والرحيم مبالغة لصفة الرحمة.

- **في حقِّه جل جلاله:** اسم يدل على الفعل، أي ما يصل من الرحمة للمرحوم، حيث أنه يرحم خلقه برحمته، ذو الرحمة الخاصة للمؤمنين، دائم الرحمة[*].

- **معنى اسم الله الغفور جل جلاله:**

- **في اللغة:** الغفور مبالغة من الغفر؛ أي: الستر والتغطية.

- **في حقِّه** جل جلاله: قال الخطابي: "فالغفار الستار لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته؛ ومعنى الستر في هذا: أنَّه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهِره في عيونهم".

- **مناسبة الاقتران بين اسمي الله جل جلاله "الرحيم والغفور" في الآية:**

- اقتران اسمي الله الغفور والرحيم يدلُّ على أنَّ مغفرة الله -عز وجل- لعبده مع استحقاقه للعقوبة بمقتضى عدله؛ إن هو إلا أثر من آثار رحمة الله تعالى؛ وهذا من مقتضى رحمته التي كتبها على نفسه، وإلا لكان مقتضى العدل أن يؤاخِذ العبد على ذنبه كما يجزيه على عمله الصالح.

- "وعن تقديم الغفور على الرحيم في هذا الموضع الوحيد في القرآن الكريم؛ يقول ابن القيم -رحمه الله-: "وقدَّم الرحيم في هذا الموضع لتقدُّم صفة العلم، فحَسُنَ ذكر (الرحيم) بعده ليقترن به، فيُطابق قوله: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر:٧]، فاقتران العفو بالقدرة؛ كاقتران الحلم والرحمة بالعلم؛ لأنَّ العفو إنما يحسن عند القدرة، وكذلك الحلم والرحمة إنَّما يحسُنان مع العلم(**)".

- **هدايات:**

- جمع الله سبحانه بين هذين الاسمين الكريمين إشارة إلى كرمه سبحانه الغامر وفضله العميم.

- لا يدب القنوط في قلب من علم اسمي الله تعالى الرحيم والغفور جل جلاله؛ فرحمته سبقت غضبه.

- رحيم على عباده وخاصته ستير على ذنوبهم؛ وهذا يحملنا على محبته وشكره سبحانه.

- رحيم بالمؤمن؛ إذ يبتليه بما يكره ليُطهِّره ويكفر عنه ذنبه ويرقِّيه الدرجات العالية بما صبر.

- "رحمة الله قريب من المحسنين، والتائب من الذنوب من المحسنين(***)".

- **من الآثار السلوكية والعملية:**

- علمك بمغفرة الله تعالى لذنوب عبادة كفيل بمجاهدة نفسك للصفح عمن ظلمك.

- أكثر من الاستغفار بقلب يرجو مغفرته ورحمته؛ واحرص عليه بعد كل عمل صالح.

- أخبرنا سبحانه بأنَّه رحيم غفور حتى نُحسِن الظنَّ به ولا نقنط من رحمته إذا أذنبنا.

- الرحيم يحب الرحماء؛ لتنال رحمته اشفق على الغافل بالترهيب والترغيب معًا، وانه عن المنكر بإحسان.

- **من ضوء الهدي النبوي في اسمي الله جل جلاله "الغفور الرحيم":**

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنَّه قال لرسول الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو به في صَلَاتِي، قالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِن عِندِكَ، وارْحَمْنِي إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» رواه البخاري (٨٣٤).

- **من التأمل في الآيات الكونية وربطها باسمي الله تعالى "الغفور والرحيم":**

- لله عزَّ وجل مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بها يتراحم الخلق بين بعضهم؛ وبها تعطِفُ الوحْشُ على أولادِها... وأخَّر تِسعة وتِسعين رحمةً، يرحمُ بها عِبادَه يومَ القيامةِ، وهذا يدلُّ على سَعةِ رحمتِه سبحانه في الآخرةِ؛ فإذا كانت رحمةٌ واحدةٌ فقط يتراحمُ بها كلُّ الخلقِ في الدُّنيا؛ فما بالُنا بتِسعةٍ وتِسعينَ جزءًا منها؟!

- قال أحد الصالحين: "لو أنَّ للذنوب رائحة ما جالسني منكم أحد" لكنه سِتر الله.

(*) انظر: شرح الشيخ د. خالد السبت، والشيخ: عبد العزيز الجليل.
(**) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد (٨٠/١).
(***) السعدي تيسير الكريم الرحمن (١٢٥٢).

"الـ... أوسعُ الصفات وأعـمُّ المدائح"

إثباتُ البعثِ
والردُّ على مُنكريه

المقطع الأول

لمَّا بيَّن تعالى عظَمَتَه بما وصف به نفسه، وكان هذا مُوجِبًا لتعظيمه والإيمان به؛ ذكرَ أنَّ من أصناف الناس، طائفة لم تُقَدِّر ربَّها حقَّ قَدْرِه... بل كفروا به، وأنكروا قدرته على العبث، فردَّ عليهم ببيان علمه وبيان الحكمة من البعث، ثمَّ بيَّن جزاءهم، وفي المقابل جزاء المؤمنين به(*)، فقال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾.

(*) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١٤٠٦)، التفسير الموضوعي (١٧٦/٦).

معاني الكلمات

لَا يَعۡزُبُ	لا يغيب
مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ	وزن نملة صغيرة
مُعَٰجِزِينَ	مُشاقّين اللهَ، مُغالبينَ أمره
عَذَابٌ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ	أسوأ العذاب، وأشدّه ألمًا
صِرَٰطِ	طريق
مُزِّقۡتُمۡ	مُتُّم، وتفرّقت أجسادُكم في الأرض
أَفۡتَرَىٰ	أخْتلَقَ؟
جِنَّةُۢ	جُنون
نَخۡسِفۡ بِهِمُ	نُغَيّبُهم في الأرض
كِسَفٗا	قِطعًا من العذاب
مُّنِيبٖ	راجع إلى ربّه بالتّوبة والطّاعة

تفسير الآيات

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾

وقال الذين كفروا بالله: لا تأتينا الساعة أبدًا، قل لهم -أيها الرسول-: بلى والله، لتأتينكم الساعة التي تُكذِّبون بها، لكن لا يعلم وَقْتَ ذلك إلا الله، فهو سبحانه عالم ما غاب من الساعة وغيرها، لا يغيب عن علمه سبحانه وزن أصغر نملة في السماوات ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر من ذلك المذكور ولا أكبر، إلا هو مكتوب في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ الذي كُتِبَ فيه كل شيء كائن إلى يوم القيامة.

من معين الآية:

كمال رحمة الله بعباده، حيث أخبرهم بالبعث وأكّده بالمؤكدات اللفظية والمعنوية والحسية، لأن الإيمان بالبعث هو الذي يحمل الإنسان على القيام بطاعة الله؛ إذ لو لم يكن هناك بعث ما عمل الإنسان للآخرة أبدًا.

محمد العثيمين[١٠]

ما أشنع التكذيب بأمرٍ يردُّ الله تعالى على المكذبين به ردًّا عظيمًا، حتى يُقسم بنفسه المقدَّسة على ذلك!

هدايات القرآن الكريم[١١]

لو تفرَّقت العظام وتمزّقت الأجسام، فإنَّ الله تعالى عالمَ الغيب يعلم أين ذهبت وأين تفرَّقت، فيجمعها من أيّ مكان صارت فيه، ويُرجعها إليه، فسبحان مَن لا تخفى عليه خافية!

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾

أثبت الله ما أثبت في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم من الله مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، ولهم رزق كريم؛ وهو جنته يوم القيامة.

من معين الآية:

في الآية إشارة إلى أن الإيمان الذي في القلب فقط لا يكفي عن العمل الصالح؛ لأنَّ الله تعالى رتّب الجزاء على القيام بالوصفين بالفعل، وهما الإيمان والعمل الصالح.

محمد العثيمين[١٠]

في الإيمان والعمل الصالح حصول المطلوب وزوال المكروه؛ لقوله تعالى: {أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ} هذا زوال المكروه {وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ} هذا حصول المطلوب.

محمد العثيمين[١٠]

للعبد عند بارئه مغفرة يجود بها عليه لحسن إيمانه، ورزق كريم يتصدَّق به عليه لصالح عمله، وحاشا لله أن يضيعَ أجر من أحسن عملًا.

هدايات القرآن الكريم[١١]

لا تعجَب إن رأيت مُسيئًا يُمتَّع بلَّذات الدنيا، ومُحسِنًا يعيش في آلامها، فمِن حكمة الله تعالى أن جعل الآخرة هي دارَ الجزاء، وأمَّا الدنيا فإنَّها دار ابتلاء.

هدايات القرآن الكريم[١١]

قل: اللهم جازني بالحسنات إحسانًا، وبالسيئات عفوًا وغفرانًا[١٢].

اعمل عملًا صالحًا جديدًا اليوم؛ رجاء أن يغفر الله لك، ويرزقك رزقًا كريمًا[١٢].

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥﴾

والذين عملوا جاهدين لإبطال ما أنزل الله من آيات، فقالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسولنا: كاهن، ساحر، شاعر، أولئك المتَّصفون بتلك الصفات لهم يوم القيامة أسوأ عذاب وأشده.

من معين الآية:

عندما عَظُم جُرم المكذِّبين للحق، الصادِّين عنه والساعين في إبطاله؛ جُوزوا بأغلظ العذاب وأشدِّه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾

ويشهد علماء الصحابة ومن آمن من علماء أهل الكتاب أنَّ الذي أنزله الله إليك من الوحي هو الحقّ الذي لا مِرْية فيه، ويُرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في الدنيا والآخرة.

من معين الآية:

{وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ} اختير فعل الرؤية هنا دون (ويعلم) للتنبيه على أنَّه علم يقيني بمنزلة العِلم بالمرئيات التي علمها ضروري.

ابن عاشور (١٤٥/٢٢)[١٢]

في وصف المؤمنين بالعلم إشارة إلى أنَّ سبب تكذيب الكفرة الجهل، الذي سببه الكِبْر.

البقاعي، نظم الدرر (٤٥٠/١٥)[٨]

{أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ} ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله تعالى في تحصيل العلم، فإذا كنَّا نُؤتى العلم؛ فلنسأل هذا العلم ممَّن يُؤتينا إيَّاه.

محمد العثيمين[١٠]

{هُوَ ٱلۡحَقَّ} هؤلاء الموفّقين من العباد، وهم أهل العلم، يرَون أنَّ الحقّ منحصرٌ في ما أنزل الله على رسوله من الكتاب، وما خالفه وناقضه فإنَّه باطل؛ لأنَّهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

السعدي[٦]

جزم أهل العلم بصدق ما أخبر الله به من وجوه كثيرة:

من جهة علمهم بصدق من أخبر بها، ومن جهة موافقتها للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة ما يشاهدون من أخبارها التي تقع عيانًا، ومن جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالَّة عليها في الآفاق وفي أنفسهم، ومن جهة موافقتها لما دلّت عليه أسماؤه تعالى وأوصافه.

السعدي[٦]

{وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ} من تمسَّك بهذا القرآن نال العزَّة والحمد؛ أي: صار عزيزًا محمودًا؛ يُحمد على فعله وقوله وتركه.

محمد العثيمين[١٠]

هذه الآية دليل ظاهر على أنَّ الذي نراه مُعارِضًا للنقل، ويُقدِّم العقل عليه، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٣/٨٥١)[١٣]

وهذه الآية منْقَبةٌ لأهل العلم وفضيلةٌ وعلامةٌ لهم، وأنَّه كلَّما كان العبد أعظم علمًا وتصديقًا بأخبار ما جاء به الرسول ﷺ، وأعظم معرفةً بحكم أوامره ونواهيه؛ كان من أهل العلم الذين جعلهم الله حُجَّةً على ما جاء به الرسول ﷺ، احتجَّ الله بهم على المكذِّبين المعاندين كما في هذه الآية وغيرها.

السعدي[٦]

احضر درسًا علميًا؛ رجاء معرفة الحق من الباطل[١٢].

أسماء حسنى

(العزيز والحميد جلّ وعلا)

- **معنى اسم الله العزيز جل جلاله:**

- **في اللغة:** قال ابن الأثير -رحمه الله-: العزيز هو الغالب القوي الذي لا يُغلب، والعزَّة في الأصل: القوَّة والشدَّة والغَلَبَة.

- **في حقِّه** جل جلاله: يقول ابن كثير -رحمه الله-: "العزيز أي: الذي قد عزَّ كل شيء فقَهَرَهُ، وغلب الأشياء، فلا ينال جنابه لعزَّتِه وعظمته وجبروته وكبريائه[*]".

- **معنى اسم الله الحميد جل جلاله:**

- **في اللغة:** الحمد نقيض الذم، وأعم من الشكر، وأعم وأصدق في الثناء من المدح؛ لأن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، بخلاف المدح فقد يمدح من لا يحب.

- في حقِّه جل جلاله: يقول ابن القيم -رحمه الله-: "الحميد: هو الذي له من الصفات، وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا؛ وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين".

- **مناسبة اقتران اسمي الله تعالى "العزيز الحميد" في الآية:**

في ذكر "العزيز الحميد" بعد الصراط الموصل إليه، إشارة إلى أنَّ من سلكه فهو عزيزٌ بعزِّ الله، قويٌ ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمودٌ في أموره، حَسَنُ العاقبة، وليدل ذلك على أن صراط الله من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنَّ الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه(**).

- **هدايات:**

- من تولَّى فقد ظلم نفسه؛ فإن الله لم يتعبَّدنا لحاجته إلينا، فهو العزيز الحميد في نفسه وصفاته.

- الحمد لله على أنَّه هو ربنا وإلهنا عز وجل، فتفاصيل حمده وما يُحمد عليه لا تُحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام.

- **من الآثار السلوكية والعملية:**

- تزوَّد من العلم الشرعي؛ رجاء أن تُهدى للحق والصراط القويم، فتَعِزّ وتُرفع.

- جدِّد نيَّتك وأنت تقرأ ما بين يديك الآن؛ قد تُحمدُ عليه في الموقف غدًا.

- **من ضوء الهدي النبوي في اسمَي الله تعالى "العزيز والحميد":**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ. في يَومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كانَتْ له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَ له مِئَةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عنْه مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وكانَتْ له حِرْزًا مِنَ الشَّيْطانِ، يَومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأْتِ أحَدٌ بأَفْضَلَ ممَّا جاءَ إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ منه» رواه البخاري (٦٤٠٣).

في الحديث إثبات الملك والحمد لله: «له المُلْكُ وله الحَمْدُ» والعزَّة تتضمن الملك.

- **من التأمُّل في الآيات الكونية وربطها باسمَي الله تعالى "العزيز والحميد":**

- تأمَّل في أحوال أهل العلم بين عامَّة الناس؛ كالشمس بين الكواكب، ظهرت آثار اسمه الحميد على أحوالهم.

- أعَز العزيز سبحانه كل من اشتغل بعلمه وعمل به وعلّمه؛ ولنا في ميراث العلماء حتى بعد وفاتهم -رحمهم الله- دليل.

(*) تفسير ابن كثير (٣٤٣/٤).
(**) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٣٨).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨﴾.

وقال الذين كفروا بالله لبعضهم؛ تعجُّبًا وسُخرية مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم: هل ندُلُّكم على رجل يُخبركم أنَّكم إذا مُتُّم وقُطِّعتم تقطيعًا أنَّكم ستُبعثون بعد موتكم أحياء؟!

وقالوا: هل اختلق هذا الرجل على الله كذبًا فزعم ما زعم من بعثنا بعد موتنا، أم هو مجنون يَهْذي بما لا حقيقة له؟ ليس الأمر كما زعم هؤلاء، بل الحاصل أنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة هم في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحقِّ في الدنيا.

من مَعين الآية

في الآية بيانٌ لعتوِّ الكافرين واستعلائهم واستكبارهم؛ ووجه ذلك:
- سخريتهم بهذا النبأ.
- تحقيرهم النبي ﷺ.
- وصفه بأنَّه لا تخلو حاله من أحد أمرين: إمَّا كاذب وإمَّا مجنون.

محمد العثيمين(١٠)

استغرَبوا مُنكِرين إعادةَ الإنسان بعد البِلى، وإحياء الله للموتى! ولم يفكِّروا بأنَّ من خلقهم من العدم هو القادر على بعثهم من الرَّمم.

هدايات القرآن الكريم[١١]

مَن يسمّي المهتدي ضالًّا يكون هو الضال، ومن يجعل الهاديَ ضالًّا يكون أضل، فأيُّ ضلال وصل إليه مَن يتَّهم سيّد الهداة والمهتدين بالكذب على ربِّه؟!

هدايات القرآن الكريم[١١]

لا يُقيم العاقل وزنًا لأقوال أهل الباطل، بل يزيده تخبّطهم واضطرابهم وتهافتهم على الحق ثباتًا، وللباطل وأهله معرفةً ودرايةً.

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾.

أفلم يرَ هؤلاء المكذبون بالبعث ما بين أيديهم من الأرض، ويروا ما خلفهم من السماء؟ إن نشأ خَسفْنا الأرض من تحت أقدامهم خسفًا، وإن نشأ أن نُسْقِط عليهم قِطَعًا من السماء لأسقطناها عليهم، إنَّ في ذلك لعلامة قاطعة لكل عبد كثير الرجوع إلى طاعة ربِّه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم وتمزيق أجسامكم.

من معين الآية

{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}: نبّههم الله على الدليل العقلي الدالِّ على عدم استبعاد البعث الذي استبعدوه، وأنَّهم لو نظروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم، من السماء والأرض، فرأوا من قدرة الله فيهما ما يُبهِر العقول، ومن عظمته ما يُذهل العلماء الفُحول، وأنَّ خلقهما وعظمتهما وما فيهما من المخلوقات، أعظم من إعادة الناس بعد موتهم من قبورهم؛ فما الحاملُ لهم على ذلك التكذيب مع التصديق بما هو أكبر منه؟ !نعم؛ ذاك خبر غيبيٌّ إلى الآن ما شاهدوه، فلذلك كذَّبوا به.

السعدي[٦]

يُؤخذ من الآية: وجوب النظر والاعتبار فيما حصل من الآيات في السماء والأرض؛ لأنَّ هذا الاستفهام {أَفَلَمْ يَرَوْا} للتوبيخ، ولا يُوَبّخوا إلا على ترك واجب.

محمد العثيمين[١٠]

ما يحصل من الخسف والزلازل والنوازل فإنَّه بإذن الله، عقوبة للعباد واعتبارًا، خلافًا لمن قال: إنَّ هذه أمور طبيعيَّة لا تدلُّ على غضب الله ولا على إنذاره، كما هو رأيُّ من لا يؤمن بالله تعالى.

محمد العثيمين[١٠]

{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} كلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم، لأنَّ المُنيب مُقبِلٌ إلى ربِّه، قد توجَّهت إراداته وهمَّاته لربِّه، ورجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريبًا من ربِّه، ليس له همٌّ إلا الاشتغال بمرضاته، فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة وعبرة، لا نظر غفلة غير نافعة.

السعدي[٦]

أحاديث نبوية

الله سبحانه وتعالى أحاطَ عِلمه بكلِّ شيءٍ، وقدْ يُطلِعُ بعضَ عِبادِه على بَعضٍ مِن الأمورِ الغَيبيَّةِ، وهناك أُمورٌ استَأثَرَ بها وحَجَبَ عِلمَها عن جَميعِ المخلوقاتِ، ومِن هذه الأُمورِ -قيام الساعة المذكور في الآيات- بالإضافة إلى ما وضَّحَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحَديثِ:

١. عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكونُ في غَدٍ، ولَا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكونُ في الأَرْحَامِ(*)، ولَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وما تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وما يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ».

رواه البخاري (١٠٣٩).

قال تعالى: {وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ} هذه الآية منقبة لأهل العلم، وأهل العلم هم من انطبقت عليهم الخيريَّة التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله من حديث مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه:

٢. عن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، واللَّهُ المُعْطِي وأَنَا القَاسِمُ، ولَا تَزَالُ هذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ علَى مَن خَالَفَهُمْ حتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وهُمْ ظَاهِرُونَ».(**)

رواه البخاري (٣١١٦).

نجاة الناس مَنوطٌ بوجود العلماء، فذهاب العلماء هلاك الناس، فهم صِمام الأمان بعد الله -عز وجل- ولهذا جاء في الحديث:

٣. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَمَاءِ، حتَّى إذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا».(***)

رواه البخاري (١٠٠).

(*) لا يعلم أحدٌ غيرُ الله سبحانَه ما يكونُ في الأرحامِ؛ من ذكرٍ أو أنثى، أسودَ أو أبيضَ، كاملٍ أو ناقصٍ، أو نحوِها؛ فهو سبحانه المُنفردُ بعِلمِ ذلك قبْلَ التخلُّقِ، أمَّا بعد تخلُّقِه فإنَّه لم يَعُدْ غَيبًا، وفي إمكان الكشفِ الطِّبِّيِّ الوصولُ إلى مَعرفتِه.

(**) ويؤخذ من ظاهر الحديث أنَّ من لم يُردِ الله به خيرًا لا يُفقِّهُ في الدين بمفهوم المُخالفة، وفيه فضل العلماء على سائر الناس، وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنَّما ثبت فضله لأنَّه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنُّب معاصيه.

(***) كلَّما ذَهَبَ عالِمٌ ذهب بما معه مِن العلم، حتَّى إذا لم يُبْقِ اللهُ عالِمًا ومات أهل العلم الحقيقيّ، وصل الجُهلاءُ إلى المراكز العِلميَّة الَّتي لا يَستحِقُّونها؛ مِن تَدريسٍ وإفتاءٍ ونحوِه، فيُحِلُّون الحرام، ويُحرِّمون الحلال. ولا تُغْني المُؤلَّفات والرَّسائل وغيرُها عن وُجود العلماء؛ لأنَّها لم تُفهَمْ على وَجْهِها الصَّحيح بدونهم.

هل يُعَارَضُ الدينُ بالعقل؟

مثال عملي للأوَّابين
الشاكرين، وعناية الله بهم

المقطع الثاني

لما ذكر الله تعالى -في ختام المقطع السابق- من يُنيب من عباده، ذكر من جملتهم داود وسليمان عليهما السلام، وبيَّن ما امتنَّ به عليهما(*)، فقال تعالى:

﴿*وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾.

(*) البحر المحيط لأبي حيان (٢٦٢/٧).

معاني الكلمات

فَضْلًا	نبوّة، وعلمًا، وكتابًا ومُلكًا
أَوِّبِي	سبّحي معه
سَٰبِغَٰتٍ	دُروعًا تامَّات واسعات
قَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ	قدِّر المسامير في حِلَقِ الدُّرُوع بألّا تكون الحِلقُ صغيرةً ضعيفةً، ولا كبيرةً ثقيلةً
غُدُوُّهَا شَهْرٌ	جَرَيانُها من أوّل النّهار إلى انتصافه مسيرة شهر بالسّير المعتاد
ورَوَاحُهَا شَهْرٌ	جرَيانُها من مُنتصف النّهار إلى اللّيل مسِيرة شهر بالسّير المعتاد
وأَسَلْنَا	أذبْنا
عَيْنَ ٱلْقِطْرِ	عين النّحاس، فيسيل لهُ النّحاس كالماء
يَزِغْ	يعدِلْ، ويمِلْ
مَّحَٰرِيبَ	مساجد للعبادة
وتَمَٰثِيلَ	صور من نحاس وزجاج
جِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ	قِصاعٍ كبيرة؛ كالأحواض الّتي يجتمع فيها الماء
قُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ	قدور ثابتات لا تتحرّكُ من أماكنها لعِظَمها
دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ	الأرَضةُ التي تأكل الخشب
مِنسَأَتَهُ	عصاهُ الّتي كان مُتّكِئًا عليها
خَرَّ	وقع على الأرضِ ميّتًا
ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ	العمل الشّاقّ الّذي كلّفهُم به سليمان عليه السلام

تفسير الآيات

﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾

ولقد أعطينا داود -عليه السلام- منَّا نبوةً وملكًا، وقُلنا للجبال: يا جبال، سبِّحي مع داود، وهكذا قُلنا للطير، وصيَّرنا له الحديد لَيِّنًا ليصنع منه ما يشاء من أدوات.

من معين الآية:

هذا الفضل فضل عظيم؛ لأن الله تعالى أضافه إليه في قوله: {مِنَّا فَضْلًا} والمضاف إلى العظيم يكون عظيمًا، ونظير ذلك الدعاء الذي علَّمه النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه: «فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ» متفق عليه.

محمد العثيمين[١٠]

كما أنَّ في تنكير {فَضْلًا} دلالة على تعظيم هذا الفضل؛ وهو فضل النبوءة، وفضل المُلك، وفضل العناية بإصلاح الأمة، وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سَعَة النعمة عليه، وفضل إغنائه عن الناس بما ألهمه من صنع دروع الحديد، وفضل إيتائه الزبور، وإيتائه حسن الصوت، وطولَ العمر في الصلاح، وغير ذلك.

ابن عاشور (١٥٥/٢٢)[١٢]

وذكر ابن العربي من معاني الفضل في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا} حسن الصوت، ثم قال: "والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى وزيادة في الخلق ومِنَّة، وأحقّ ما لبست هذه الحالة النفسية والموهبة الكريمة كتاب الله؛ فنِعمُ الله إذا صُرفت في الطاعات، فقد قضي بها حقّ النعمة".

أحكام القرآن (٣/٧)[١٣]

كلُّ نعمةٍ إنما هي فضل من الله سبحانه وتعالى، فليُدرك العبد مصدرها، تَعظُم في عينيه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ} فضل الله عليك أن تسبّح الأشياء معك، ادع الناس للتسبيح يدركك فضل الله، سبحان الله وبحمده.

د.عبدالله بلقاسم[١٦]

الجبال والطير وكل ما خلق الله تعالى من الخلق منقادٌ لأمر ربه، لا يسعه إلا تنفيذ ما أُمِرَ به.

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

أن اعمل -يا داود- دروعًا واسعة تقي مقاتليك بأس عدوّهم، وصيِّر المسامير مناسبة للحِلَق فلا تجعلها دقيقة بحيث لا تستقرّ فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، واعملوا عملًا صالحًا، إني بما تعملون بصير، لا يخفى عليَّ من أعمالكم شيء، وسأجازيكم عليها.

من معين الآية:

في هذه الآية دليل على تعلُّم أهل الفضل الصنائع، وأنَّ التحرُّف بها لا يُنقِصُ من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم، والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان.

القرطبي (٢٦٣/١٧)[١٢]

ينبغي لمن صنع شيئًا أن يُكمله؛ لقوله تعالى: {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ}، ولا يُنقِص منه شيئًا، وينبغي لمن صنع شيئًا أن يُتقنه؛ لقوله تعالى: {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} أي: إكمالًا وإتقانًا.

محمد العثيمين[١٠]

يجب على من أنعم الله تعالى عليه نعمة أن يقوم بشكرها بالعمل الصالح؛ لقوله تعالى: {وَاعْمَلُوا صَالِحًا}.

محمد العثيمين[١٠]

والعمل الصالح ما جمع وصفين: الإخلاص لله، والموافقة لشريعته.

فإن فُقِدَ الإخلاص فليس بصالح لوجود الشرك، وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم (٢٩٨٥).

والثاني الموافقة لشريعة الله، فإن لم يوافق شريعة الله فإنه ليس بصالح ولا يُقْبَل؛ الدليل قوله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه مسلم (١٧١٨)، وقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى:٢١] فلا بد لكونه عملًا صالحًا من هذين الشرطين.

محمد العثيمين[١٠]

راقب الله سبحانه وتعالى في أعمالك كلِّها، واجعلها صالحةً وخالصة له، كما تحبُّ أن يراها جلَّ وعلا.

هدايات القرآن الكريم[١١]

فيما قصه الله -في سورة سبأ- من شأن داود واشتغاله بالصناعات عبرة!

ذلك أنَّ "الفقه في الدنيا جزء من العقل الذي يفقه الآخرة، ولن يستطيع نصرة الإيمان أبله ولا قاعد!

وعندما تحوَّل المسلمون إلى عالم ثالث أو رابع، نال منهم خصومهم، وأمسوا معرَّة لدينهم!".

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي (٣٢٧)[١٣]

أسماء حسنى

(البصير جلّ وعلا)

- معنى اسم الله البصير جل جلاله:

- في اللغة: البصر في الخَلق: حاسَّة الرؤية، والبصيرة: العلم والفِطنة.

- **في حقِّ الله جل جلاله:** لاسمه سبحانه (البصير) معنَيَيْن؛ الأول: أنَّ له بصرًا يليق بعظمته، يرى به جميع مخلوقاته مهما دقَّت وخَفَت. والثاني: أنَّه ذو البصيرة بالأشياء، الخبير بها، المطَّلع على بواطنها.

- **مُناسبة ذكر اسم الله البصير في الآية:**

لما ذكر تعالى ما امتن به على داوود -عليه السلام- وعلى آله؛ أمرَه بشكره، وأن يعملوا صالحًا، ويراقبوا الله تعالى فيه بإصلاحه وحفظه من المفسدات؛ فإنَّه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء(*).

- **الهدايات:**

- إثبات صفة البصر له جلَّ شأنه، إثباتًا يليق بجلاله، وهي من صفات الكمال.

- الله سبحانه بصير بأحوال عباده، خبير بها، بصير بمن يستحق الهداية منهم ممن لا يستحقها، بصير بأعمال العباد، وسيجازيهم عليها أتم الجزاء.

- {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ} [العلق: ١٤] أعلِمَ أحدُنا حقيقةً بأنَّ الله يراه، يبصره، ويطَّلع عليه في كل أحواله؟

- **من الآثار السلوكيَّة والعمليَّة(**):**

- الخوف والحياء منه سبحانه، فنظل في محاسبة لأنفسنا على كل كلمة وخَطْرة ونظرة؛ هل هذا ممَّا يحبُّه الله؟ أردتُ به وجهه تعالى وحده؟ فيه منفعة؟ ...إلخ.

- من عَلِمَ أنَّ ربَّه تعالى يراه، ازداد إحسانًا في عمله، وإخلاصًا فيه لربِّه.

- استحضار العبد لإبصار ربِّه وسماعه له، يُهوِّن عليه ما يلقى من التعب في العبادة، كالمشقَة التي تلحقه حين يقوم من الليل ويتوضَّأ ويصلِّي... كذلك يُهوِّن عليه ما يلقى من أذى الناس؛ ويبقى غير هيَّاب، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يتعاظم في نفسه أذى المخلوقين وكيدهم.

- الأُنس بالله تبارك وتعالى، قيل لمالك بن مِغْول -وهو جالس في بيته وحده-: ألا تستوحش؟ فقال: (ويستوحش مع الله أحد؟!).

- اِسأل الله سبحانه باسمه البصير أن يُنير بصرك وبصيرتك.

- **من ضوء الهدْي النبويّ في اسم الله (البصير):**

قال النبي ﷺ: «...الإحْسَانُ أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ...»

رواه مسلم.

(هذا من جوامع الكلِم الَّتي أُوتيها صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّا لو قدَّرنا أنَّ أحدنا قام في عبادة وهو يُعايِن ربَّه سبحانه؛ لَم يترك شيئًا ممَّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحُسْن السَّمت...، وعلى الاعتِناء بتتْميمها على أحسن وجوهِها إلَّا أتى به[***]).

- **من التأمُّل في الآيات الكونيَّة وربطها باسمه تعالى (البصير):**

- الحسن والكمال في ألوان المخلوقات وهيئاتها، وتناسقها وتناسبها من كل وجه، يدلنا على أنَّ خالق الكون سبحانه وتعالى بصير كامل البصر.

- الطيور المحلِّقة في السماء! {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} [الملك: ١٩]، (بِنيَتُها التي تتمكن من خلالها من التحليق في الجو، قبضها أجنحتها وبسطها، سيرها في أسراب وجماعات... أليس هذا من دلائل أنَّ خالقها بصير بخلقه يُعطي كل مخلوق ما يليق به، ويُودِعُ فيه ما يُريده بمقتضى حكمته، ثم يهديه إليه بتوفيقه؟ سبحانه وتعالى.

- وبصير في هذه الآية بمعنى: ذو البصر والخبرة بكل شيء، لا يدخل في تدبيره خلل ولا في خلقه تفاوت[****]).

(*) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١٤١٠).

(**) ينظر: عبدالعزيز الجليل "ولله الأسماء الحسنى"، وموقع الشيخ خالد السبت، الأسماء الحسنى (السميع – البصير).

(***) النووي، شرح صحيح مسلم (١٥٧/١).

(****) بتصرف: محاسن التأويل للقاسمي، وتفسير مكي بن أبي طالب.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾

وسخَّرنا لسليمان بن داود -عليهما السلام- الريح، تسير في الصباح مسافة شهر، وتسير في المساء مسافة شهر، وسيَّلنا له عين النحاس ليصنع من النحاس ما يشاء، وسخَّرنا له من الجنِّ من يعمل بين يديه بأمر ربِّه، والذي يميل من الجنِّ عمَّا أمرناه به من العمل نُذِيقُه من عذاب النار الملتهبة.

من معين الآية:

كلُّ نعمة يُنعمها الله -سبحانه وتعالى- على الأبناء، فإنَّما هي نعمٌ على الآباء كذلك، وأيُّ أبٍ لا تَقرُّ عيناه بسعادة ابنه؟!

هدايات القرآن الكريم[١١]

طاعة مَن أمر الله بطاعته طاعةٌ لله، ومعصية من نهى عن معصيته معصيةٌ كذلك له.

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾

يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صُوَر، وما يشاء من قصاع مثل حياض الماء الكبيرة، وقدور الطبخ الثابتات فلا يُحرَّكْنَ لعِظَمِهِن، وقلنا لهم: اعملوا -يا آل داود- شكرًا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

من معين الآية:

انظر إلى ما استعمل سليمان -عليه السلام- الجنَّ فيه، لقد سخَّرهم في نفع الناس في أمر دينهم ودنياهم، وهكذا ينبغي أن يفعل من آتاه الله تعالى نعمة.

هدايات القرآن الكريم[١١]

كما يوالي الله سبحانه وتعالى على عبده من نِعَمِه، فإنَّ عليه ألَّا يزال مجدِّدًا له شكره بحاله وقاله، عارفًا أنَّه لو أنفق عمره كله في ذلك لكان مقصِّرًا في حقِّه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

الكثرة لا تستلزم الصواب، والقلَّة ليست مظِنَّة الخطأ دائمًا، فعليك بسيرة الشاكرين، ولو كانوا قليلين.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ} فيه دلالة على أنَّ الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنيَّة.

ابن كثير (٣/٥٠٧)[١٢]

روي أن داود عليه السلام قال: يا رب، كيف أطيق شكرك على نعمك، وإلهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك؟ فقال: يا داود الآن عرفتني، والشكر حقيقته: الاعتراف بالنعمة للمنعم، واستعمالها في طاعته، والكفران: استعمالها في المعصية.

القرطبي (١٧/٢٧٨)[١٢]

علّم مسلمًا سورة من سور القرآن؛ شكرًا لله على حفظك للسورة[١٢].

عمل قلبي

(الشكر)

«إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»

رواه مسلم

- **معنى الشكر:**

- **لغة:** أصل الشكر في كلام العرب: ظهور أثر الغذاء في ابدان الحيوان ظهورًا بَيِّنًا، تقول: شَكَرَتِ الدابَّة: إذا ظَهَرَ عليها أثرُ العَلَف.

- **اصطلاحًا:** ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً. وهو أيضًا: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خُلِق لأجله.

- **الفرق بين الحمد والشكر:**

"الحمد" يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، و"الشكر" لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر؛ فالشكر أخص من الحمد من هذا الوجه.

- **منزلة الشكر:**

مقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها، والإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فمرجع الإيمان كله شكرًا.

- **القواعد التي يقوم عليها الشكر:**

- خضوع الشّاكر للمشكور.
- وحبّه له.
- واعترافه بنعمته.
- والثّناء عليه بها.
- وألّا يستعملها فيما يكره.
- فمتى فقد منها واحدة اختلّت قاعدة من قواعد الشّكر.

- **أنواع الشكر: الشّكر على ثلاثة أضرب:**

- شكر القلب وهو تصوُّر النّعمة.
- وشكر اللِّسان وهو الثّناء على المنعم.
- وشكر سائر الجوارح.

- **مظاهر الشكر وصوره:**

- الحمد.
- سجود الشكر: وهو سجود مخصوص لحصول نعمة.
- الثناء على المنعم عز وجل.
- إعمال الجوارح بطاعة الله.
- ظهور أثر النعمة على العبد: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يُحِبّ أن يرى أثرَ نعمتهُ على عبدِهِ» رواه الترمذي (٢٨١٩).

- الرضا والتسليم بقضاء الله عز وجل.
- شكر الناس: قال رسول الله ﷺ: «مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ اللهَ» رواه الترمذي (١٩٥٤).

• من ثمرات الشكر:

- محبة الله عز وجل: وذلك أنَّ القلوب مجبولة على حبِّ من أحسن إليها.
- القرب من الله عز وجل: قال أبو حازم: (كل نعمة لا تقرِّب من الله فهي بلِيَّة).
- تحقيق النجاة.
- قوة الإيمان والانتفاع بالآيات: قال ابن القيم: (وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله، ولا يتم له الإيمان إلا بالصبر والشكر).
- دوام النعم وزيادتها {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].
- رضى الله سبحانه وتعالى عن الشاكر.
- الاختصاص بالمِنَّة بالهداية.
- عدم تعليق ثواب الشاكر بالمشيئة.
- تحلِّي الشاكرين بأوصاف الله عز وجل.
- إجابة الدعاء.

• ختامًا:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (على كلِّ نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا يحتاج إلى شكرٍ عليها، ثم للتوفيق للشكر عليها نِعْمة أخرى تحتاج إلى شكرٍ ثانٍ، ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبدًا؛ فلا يقدرُ العبد على القيام بشكر النِّعم. وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر).

لهذا قال النبي ﷺ في ثنائه على ربِّه عز وجل: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ» رواه مسلم (٤٨٦).

اللهم ارزقنا من فضلك رزقًا يزيدنا لك به شُكرًا، وإليك فاقةً وفقرًا، وبك عمَّن سِواك غِنىً وتعفُّفًا

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

فلما حكمنا على سليمان بالموت ما أرشد الجنَ إلى أنَّه قد مات إلا حشرة الأَرَضة تأكل عصاه التي كان مُتَّكِئًا عليها، فلما سقط تبيَّنت الجنُّ أنَّهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذلّ لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقَّة التي يعملونها لسليمان -عليه السلام- ظنًّا منهم أنَّه حيٌّ يُراقبهم.

أشارت الآيات إلى ما أنعم الله به على نبيِّه داود –عليه السلام- من الأفضال العظيمة، وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ ممَّا أنعم الله به عليه أيضًا الصوت الحسن:

٤. عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «**يَا أَبَا مُوسَى، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»(*).

رواه البخاري (٥٠٨٨) واللفظ له، ومسلم (٧٩٣).

كان داود -عليه السلام- من الشاكرين لله في قوله وعمله، وممَّا وَرَدَ عن عبادة نبيِّ الله داود -عليه السلام- وعبادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

٥. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»(**).

رواه البخاري (١١٣١) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩).

٦. عن المغيرة رضي الله عنه، يقول: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ -أَوْ سَاقَاهُ- فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

رواه البخاري (١١٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٩).

(*) أي: أعطاكَ اللهُ صَوتًا حَسَنًا مِثلَ ما كان داودُ عليهِ السَّلامُ ذَا صَوتٍ حَسنٍ بقِراءةِ الزَّبورِ، والمِزْمارُ أصلُه الآلةُ التي يُزْمَرُ بها، وآلُ داودَ هنا هو داودُ نفْسُه، وقد كان نبيُّ اللهِ داودُ إليه المُنتهى في حُسْنِ الصَّوتِ بالقراءةِ. وحُسنُ الصَّوتِ المطلوبُ هو ما كانَ على طَريقِ التَّحزينِ والتَّخويفِ والتَّشويقِ بما يُحقِّقُ مَقصودَه مِن الخَشيةِ والخُشوعِ والتَّفهُّمِ، وليس ما كانَ على طَريقِ الألحانِ المُطربةِ المُلهيةِ.

(**) في هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأفضلِ كَيفيَّةٍ في قِيامِ اللَّيلِ وصَومِ النَّافلةِ، وهما قِيامُ نَبيِّ اللهِ داودَ -عليه السَّلامُ- وصَومُه؛ فأمَّا قِيامُه فكان يَنامُ نصْفَ اللَّيلِ الأوَّلَ، ثمَّ يَقومُ ثُلثَ اللَّيلِ، ثمَّ يَنامُ سُدسَه الأخيرَ، وأمَّا صِيامُه فكان يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يومًا، فهذا أكثَرُ ما يكونُ القِيامُ والصِّيامُ مَحبوبًا للهِ عزَّ وجلَّ، ومِن ثَمَّ يَنالُ صاحبُه عليه أعلى الدَّرجاتِ، وإنَّما صارتْ هذه الطَّريقةُ أحَبَّ إلى اللهِ مِن أجْلِ الأخذِ بالرِّفقِ على النُّفوسِ الَّتي يُخشَى منها السَّآمةُ والمَلَلُ الَّذي هو سَببٌ إلى تَرْكِ العِبادةِ. وفي الحديث: الحَثُّ على قِيامِ اللَّيلِ، وصِيامِ التَّطوُّعِ. وفيه: أنَّ صَومَ يَومٍ وفِطرَ يَومٍ أحَبُّ إلى اللهِ تعالَى مِن غَيرِه، وإنْ كان أكثَرَ منه.

نِعَم الله إذا ... في ... فقد قُضِي حقَّها.

مثال واقعي لعاقبة من
كفر بأنعم الله.

المقطع الثالث

لمَّا ذكر تعالى أنَّ آل داود -عليه السلام- شكروا، فسخَّر لهم من الجبال والطير والمعادن وغيرها؛ ذكر حال قومٍ أضاعوا الشكر؛ فأضاع منهم ما لم يكونوا يخافون فواتَهُ من مياهِهِمْ وأشجارهم وغيرها(*)، قال تعالى:

﴿لقدْ كان لِسبإٍ فِي مسْكنِهِمْ ءايةٌۖ جنّتانِ عن يمِينٍ وشِمالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ ربِّكُمْ واْشْكُرُواْ لهُۥ بلْدةٌ طيِّبةٌ وربٌّ غفُورٌ ﴿١٥﴾ فأعْرضُواْ فأرْسلْنا عليْهِمْ سيْل ٱلْعرِمِ وبدّلْنٰهُم بِجنّتيْهِمْ جنّتيْنِ ذواتيْ أُكُلٍ خمْطٍ وأثْلٍ وشيْءٍ مِّن سِدْرٍ قلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذٰلِك جزيْنٰهُم بِما كفرُواْۖ وهلْ نُجٰزِيٓ إِلّا ٱلْكفُور ﴿١٧﴾ وجعلْنا بيْنهُمْ وبيْن ٱلْقُرى ٱلّتِي بٰركْنا فِيها قُرًى ظٰهِرةً وقدّرْنا فِيها ٱلسّيْرَۖ سِيرُواْ فِيها ليالِي وأيّامًا ءامِنِين ﴿١٨﴾ فقالُواْ ربّنا بٰعِدْ بيْن أسْفارِنا وظلمُوٓاْ أنفُسهُمْ فجعلْنٰهُمْ أحادِيث ومزّقْنٰهُمْ كُلّ مُمزّقٍۚ إِنّ فِي ذٰلِك لأٓيٰتٍ لِّكُلِّ صبّارٍ شكُورٍ ﴿١٩﴾ ولقدْ صدّق عليْهِمْ إِبْلِيسُ ظنّهُۥ فٱتّبعُوهُ إِلّا فرِيقًا مِّن ٱلْمُؤْمِنِين ﴿٢٠﴾ وما كان لهُۥ علىْهِم مِّن سُلْطٰنٍ إِلّا لِنعْلم من يُؤْمِنُ بِٱلْأٓخِرةِ مِمّنْ هُو مِنْها فِي شكٍّۗ وربُّك علىٰ كُلِّ شيْءٍ حفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

(*) البقاعي، نظم الدرر (١٦٧/٦).

معاني الكلمات

لِسبإٍ	قبيلة باليمن سُمّوا باسم جدّهم
ءايةٌ	دلالة على قُدرة الله تعالى
جنّتانِ	بُستانان
بلْدةٌ طيّبةٌ	كريمةُ التُّربة، طيّبة الهواء
سيْل ٱلْعرِمِ	السّيل الجارِف الشّديد الذي خرَّب السَّدَّ، وأغْرق البساتين
ذواتَىْ	صاحِبتيْ
أُكُلٍ خمْطٍ	ثمر مُرّ، كريه الطّعم
وأثْلٍ	شجر معروف شبِيه بالطّرْفاء، لا ثمر له
سِدْرٍ	شجر النّبق، كثير الشّوك
ٱلْقُرى ٱلّتِي بٰرْكْنا	قُرى الشّام
قُرًى ظٰهِرةً	مُدُنًا مُتّصِلةً يُرى بعْضُها من بعض
وقدّرْنا فِيها ٱلسّيْرَ	جعلْنا السّير بينها على مراحِل مُتقارِبة
فجعلْنٰهُمْ أحادِيث	جعلناهُم عِبَرًا وأحاديث لمن يأتي بعدهم
مزّقْنٰهُمْ	فرّقناهُم في البلاد
صدّق عليْهِمْ	حقّق عليهِم
سُلْطٰنٍ	قهْرٍ على الكُفر

تفسير الآيات

﴿لقد كان لسبإٍ في مسكنهم ءايةٌ جنتان عن يمين وشمالٍ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وربٌ غفور ﴿١٥﴾﴾

لقد كان لقبيلة سبأ في مسكنهم الذي كانوا يسكنون فيه علامة ظاهرة على قدرة الله وإنعامه عليهم؛ وهي جنتان: إحداهما عن اليمين، والثانية عن الشمال وقلنا لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروه على نعمه؛ هذه بلدة طيبة، وهذا الله رب غفور يغفر ذنوب من تاب إليه.

من معين الآية:

جرَّ خبرُ سليمان -عليه السلام- إلى ذكر سبأ لما بين مُلك سليمان وبين مملكة سبأ من الاتصال بسبب قصة بلقيس، ولأنَّ في حال أهل سبأ مضادة لأحوال داود وسليمان؛ إذ كان هذان مثلًا في إسباغ النعمة على الشاكرين، وكان أولئك مثلًا لسلب النعمة عن الكافرين.

ابن عاشور (١٦٥/٢٢)[١٢]

من الناس مَن يكون في رغدٍ من الحال فيُصِرُّ على الكِبْر والعصيان، ولا يعرف قدر ما هو فيه، فيُغيِّر الله عليه الحال، فتذهب عنه النعم، وتَحِلُّ عليه النقم.

هدايات القرآن الكريم[١١]

وجوب الشكر لله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: {وَاشْكُرُوا لَهُ} والشكر واجب عقلاً كما هو واجب شرعًا، أمَّا وجوبه الشرعي فالآيات بالأمر به كثيرة، وأمَّا وجوبه العقلي فلأنَّ العقل الصريح يقتضي أنَّ كلَّ من أحسن إليك فإنك تشكره على ذلك، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

محمد العثيمين[١٠]

إنَّ قومًا بدَّلوا الشكر الحَسَن بالكفر، بدَّل الله تعالى نعمهم بعقابه الأليم، وما عاملهم إلا بما استوجبوا، ولا أطعمهم إلا ممَّا زرعوا، ولا أوقعهم إلا في الوَهْدة التي حفروا.

هدايات القرآن الكريم[١١]

في الآية إشارة إلى أنَّ الذنب ملازم للإنسان، لا يُعصم منه إلا من أراد الله عصمته كأنبيائه، ولذا أعلمهم أنَّ المُنعِم بهذه النعم رب غفور يغفر ذنب عباده إذا تابوا إليه، فدعاهم بهذا إلى التوبة، وأنَّ الذنب مع التوبة لا يُسبب الهلاك العام أو سلب النعم ما دام هناك توبة تعقب الذنب.

أيسر التفاسير للجزائري[١٧]

سمِّ الله قبل الأكل، واحمده بعده؛ شكرًا لله تعالى[١٢].

﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ١٦﴾

فأعرضوا عن شكر الله والإيمان برسله، فعاقبناهم بتبديل نعمهم نقمًا، فأرسلنا عليهم سيلًا جارفًا خرّب سدهم وأغرق مزارعهم، وبدّلناهم بِبُسْتَانَيْهِم بُسْتَانَيْنِ مُثْمِرَيْنِ بالثمر المرّ، وفيهما شجر الأثل غير المثمر، وشيء قليل من السِّدْر.

من معين الآية:

المعاصي سبب لزوال النعم؛ لقوله سبحانه وتعالى: {فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا} وهذا له شواهد في القرآن كثيرة، منها قوله عز وجل: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]، وغيرها من الشواهد.

محمد العثيمين[١٠]

فإن قيل: قد قال: {وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ} والأرض التي فيها أشجار الأثل والخَمْط لا تُسمى جنة؟! والجواب: إنمّا سمّي ذلك على طريق المقابلة.

أبو المظفر السمعاني، تفسير السمعاني(٤/٣٢٧)[١٥]

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجزي إلا الكفور ١٧﴾

ذلك التبديل الحاصل لما كانوا عليه من النعم بسبب كفرهم وإعراضهم عن شكر النعم، ولا نعاقب هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنِعَم الله، الكفور به سبحانه.

من معين الآية:

لا يُعاجل الله جلَّ جلاله مَن يُخطئ طريقَه، لكن يُمهِلُه عسى أن يتوبَ ويُنيب، فإذا ما تمادى في الكُفران، جازاه بما يستحقه.

هدايات القرآن الكريم[11]

﴿وجعلْنا بيْنهُمْ وبيْن ٱلْقُرى ٱلّتِي بٰرْكْنا فِيها قُرًى ظٰهِرةً وقدّرْنا فِيها ٱلسّيْرۖ سِيرُواْ فِيها لياٰلِي وأيّامًا ءامِنِين﴿١٨﴾﴾

وجعلنا بين أهل سبأ في اليمن وبين قُرى الشام التي باركنا فيها قُرًى متقاربة، وقدَّرنا فيها السير بحيث يسيرون من قرية إلى قرية دون مشقَّة حتى يصلوا الشام، وقُلنا لهم: سيروا فيها ما شِئتم من ليلٍ أو نهار في أمن من العدوِّ والجوع والعطش.

من معين الآية:

إذا أَلِف المسافرون الأمنَ في الليل في سفرهم، فقد أنعم الله عليهم بنعمةٍ عظيمة؛ لأنَّ حاجة المسافرين إلى الأمان في الليل فوق حاجتهم إليه في النهار.

هدايات القرآن الكريم[11]

﴿فقالُواْ ربّنا بٰعِدْ بيْن أسْفارِنا وظلمُوٓاْ أنفُسهُمْ فجعلْنٰهُمْ أحادِيث ومزّقْنٰهُمْ كُلّ مُمزّقٍۚ إنّ فِي ذٰلِك لأٓيٰتٍ لِّكُلِّ صبّارٍ شكُورٍ﴿١٩﴾﴾

فبطروا نعمة الله عليهم بتقريب المسافات، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا بإزالة تلك القرى حتى نذوق تعب الأسفار، وتظهر مزيَّة ركائبنا، وظلموا أنفسهم ببطرهم نعمة الله وإعراضهم عن شكره، فصيّرناهم أحاديث يتحدَّث بها من بعدهم، وفرَّقانهم في البلاد كل تفريق، بحيث لا يتواصلون فيما بينهم، إنَّ في ذلك المذكور -من الإنعام على أهل سبأ ثم الانتقام منهم لكفرهم وبطرهم- لعبرة لكل صبَّار على طاعة الله وعن معصيته وعلى البلاء، شكور لنعم الله عليه.

من معين الآية:

فضيلة الصبر والشكر، فالصبر على الضراء، والشكر على الرخاء، والإنسان دائمًا مُصاب بهاتين الآفتين، إمَّا ضرَّاء وإمَّا سرَّاء قال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء: ٣٥].

محمد العثيمين[١٠]

إذا طُمِسَت عن بصيرة الإنسان أنوارُ الشكر هامَ في ظلام البَطَر، حتى يُوقن بأنَّه في غِنًى عن نِعَمِ ربِّه، وكفايةٍ عن كرم عطائه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

يتعلَّم المؤمن من قصص السابقين وما فيها من الآيات الصبرَ على نعمة الله لا الملَلَ منها، والشكر على النعمة لا البطر فيها؛ حتى يصرفَ الله عنه البلاء، ويزيده بفضله من النعماء.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ} جَمَعَ {الآيَاتٍ} لأن في تلك القصة عدة آيات وعِبَر؛ فحالةُ مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه، وفي إرسال سَيْل العرِم عَليهم آية على انفراده تعالى بالتصرُّف، وعلى أنَّه المنتقم، وفي انعكاس حالهم من الرفاهة إلى الشَّظَف آية على تقلُّب الأحوال وتغيُّر العالم، وفي ذلك آية مِن عدم الاطمئنان لدوام حال في الخير والشر.

وفيما كان من عمران إقليمهم واتساع قُراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات، وآية على أنَّ الأمن أساس العمران.

وفي تمنّيهم زوال ذلك آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المُفضي إلى اختلال أمور الأمة وذهاب عظمتها، وفيما صاروا إليه من النزوح عن الأوطان والتشتت في الأرض آية على ما يُلجئ الاضطرارُ إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكاره.

ابن عاشور (٢٢/١٨٠)[١٢]

الجمع بين {صبّارٍ} و{شكُورٍ} في الوصف لإفادة أنَّ واجب المؤمن التخلق بالخُلقين وهما: الصبر على المكاره، والشكر على النعم، وهؤلاء المتحدث عنهم لم يشكروا النعمة فبطروها، ولم يصبروا على ما أصابهم من زوالها.

ابن عاشور (٢٢/١٨٠)[١٢]

﴿ولقدْ صدّق عليْهِمْ إِبْلِيسُ ظنّهُۥ فٱتّبعُوهُ إِلّا فرِيقًا مّن ٱلْمُؤْمِنِين۝٢٠﴾

ولقد حقَّق عليهم إبليس ما ظنَّه من أنَّه يستطيع إغواءهم وإضلالهم عن الحق، فاتَّبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من المؤمنين؛ فإنَّهم خيَّبوا رجاءه بعدم اتِّباعهم له.

من معين الآية:

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} إيّاك أن تكون عند حسن ظنّ إبليس فيك!

د. عبدالرحمن الشهري[١٣]

قال ابن قتيبة: إنَّ إبليس لما سأل النظرة فأنظره الله، قال: لأغوينّهم ولأضلنّهم، لم يكن مُستيقنًا وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم، وإنما قاله ظنًّا، فلما اتبعوه وأطاعوه صدَّق عليهم ما ظنَّه فيهم. قال الحسن: لم يسلّ عليهم سيفًا ولا ضربهم بسَوط، وإنَّما وعدهم ومنَّاهم فاغتروا.

البغوي (٣/٦٠٤)[١٢]

يُستفاد من قوله تعالى: {فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أنَّ الإيمان حاجز عن اتباع الشيطان؛ ولهذا كثير ما يمر بكم: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون كذا وكذا)، (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل كذا وكذا)، أو (فليفعل كذا وكذا) مما يدل على أنَّ الإيمان حاجز عن اتباع الشيطان، وموجب لاتباع هدي الرسل عليهم السلام.

محمد العثيمين[١٠]

في كل أمة قِلَّةٌ مؤمنة تستعصي على الغَواية، وتُثبت أن هنالك حقًا ثابتًا يعرفه من يطلبه، ويمكن لكل من أراد أن يجدَه أن يستمسكَ به.

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿وما كان لهُۥ عليْهِم مّن سُلْطٰنٍ إِلّا لِنعْلم من يُؤْمِنُ بِٱلْأٰخِرةِ مِمّنْ هُو مِنْها فِى شكٍّ وربُّك علىٰ كُلِّ شىْءٍ حفِيظٌ۝٢١﴾

وما كان لإبليس عليهم من سلطان يقهرهم به على أن يضلُّوا، وإنَّما كان يُزيّن لهم ويُغويهم، إلا أنَّا أذِنَّا له في إغوائهم ليظهر لنا أمر من يؤمن بالآخرة وما فيها من جزاء،

ممَّن هو منها في شك، وربُّك -أيها الرسول- على كل شيء حفيظ، يحفظ أعمال عباده، ويجازيهم عليها.

من معين الآية:

لم يقهرهم إبليس على الكفر، وإنما كان منه الدعاء والتزيين، لم تكن له حُجَّة يتتبعهم بها، وإنَّما اتَّبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس، لا عن حُجَّة ودليل.

البغوي (٣/٦٠٤)[١٢]

في قوله تعالى في ختام قصة سبأ: {إِلَّا لِنعْلم من يُؤْمِنُ بِٱلْأَخِرةِ مِمّنْ هُو مِنْها فِي شكّ} دلالة على أنَّ كفر النعمة سببه الشك في الآخرة.

سعيد حوى، الأساس في التفسير (٨/٤٥٢٢)[٤]

يحفظ الله تعالى على العبد عمله حتى يُوافيه، فيجازيه به دون أن يفوت منه صغير أو كبير.

هدايات القرآن الكريم[١١]

أسماء حسنى

(الحفيظ جلّ وعلا)

- **معنى اسم الله الحفيظ جل جلاله:**

- **في اللغة:** على وزن فعيل، قال ابن سيده: "الحفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة..."، وحفظ الشيء: صانه وحرسه.

- **في حقِّه جل جلاله:** قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: الحفيظ يتضمن معنيين:

الأول: أنَّه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير وشر... وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكةً كرامًا كاتبين.

والثاني: أنَّه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون.

وحفظه لخلقه نوعان (عام وخاص):

- **فالعام:** حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يُقيتها ويحفظ بُنيَتها؛ فتمشي إلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة.

- **والخاص:** حفظه لأوليائه عمّا يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشُّبَه والفِتَن والشهوات.

- **مناسبة ذكر اسم الله تعالى "الحفيظ" في الآية(*):**

هذه الجملة الخبرية التي خُتِمت بها الآية تفيد أنَّ الله مراقب ومُطَّلِع ومُهَيْمِنٌ على كل شيء، وهذا المعنى يستلزم معنى آخر وهو التحذير من المخالفة، لأنَّ الإنسان متى عَلِم أن الله سبحانه وتعالى حفيظ على كل شيء خاف ولم يُخالف، أمَّا إذا كان في شك من هذا فإنَّه يعمل كما يشاء.

- **هدايات:**

- عموم حفظ الله لجميع مخلوقاته، وهذا يشترك فيه البر والفاجر، فقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي: يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

- من حَفِظَ الله ساعة الأمن؛ حَفِظَه الله تعالى ساعة الخوف والمكاره.

- ومن حفِظَ الله في صِباه وقوَّته، حفِظَه الله في حال كِبَرِه وضعف قوَّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحوله وقوَّته وعقله.

- من حِفْظِ الله للعبد في دينِه وإيمانِه، أن يحفظ عليه دِينَه عندَ موتِه، فيتوفَّاه على الإيمانِ.

- من ضيَّع اللهَ ضيَّعه الله، فضاع بينَ خلقِه، حتَّى يَدخُلَ عليه الضَّررُ والأذى ممَّن كان يَرْجو نفْعَه مِن أهلِه وغيرِهم.

- على حسب ما عند العبد من العبودية والطاعة، تكون مدافعة الله عنه بلطفه.

- **من الآثار السلوكية والعملية:**

- راقب الله عز وجل في أقوالك وأعمالك، لأنه سبحانه هو الحافظ المحصي لأعمال عباده، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

- توكّل على الله وتعلّق به وحده في الحفظ والكفاية من كل سوء.

- خذ بأسباب حفظ الله –عزّ وجل- للعبد؛ وأعظمها: توحيده، وفعل ما يحبه، واجتناب ما يسخطه.

- حفظ الله تعالى لك ولعباده من الشرور والمهلكات، يستوجب تعظيمه جلّ وعلا ومحبته وحمده وشكره؛ فلو خلّي بين العبد وبين هذه المهلكات لما بقي على ظهرها من دابة.

- وحفظ الله سبحانه الخاص لأوليائه شيء آخر ونعمة أخرى، تقتضي من أهلها عظيم المحبة ومزيد الحمد والقيام بعبوديته وطاعته.

- **من ضوء الهدي النبوي في اسم الله الحفيظ جل جلاله:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما قال: «يا غلام، إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصّحف». رواه الترمذي (٢٥١٦).

"احفظ الله"، أي: احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، بحيث يجدك في الطّاعات والقربات، ولا يجدك في المعاصي والآثام.

"يحفظك"، أي: إذا اتّقيته وحفظته كان جزاؤك أن يصونك من الشّرور والموبقات، ويحفظك في نفسك وأهلك ومالك ودينك ودنياك، ويحفظك من مكاره الدّنيا والآخرة.

- **من التأمل في الآيات الكونية وربطها باسمه تعالى "الحفيظ":**

- الله سبحانه هو الخالق لهذا الكون العظيم، وهو الحافظ له وللسموات والأرض أن تزولا.

- من شواهد حفظه سبحانه أنه لا مفر إلا إليه، ولا ملجأ للعبد ولا منجا منه إلا إليه؛ فالمشرك عندما يشعر بالخطر يوحده سبحانه ويتبرأ مما يُشرِك!

(*) باختصار: العثيمين، تفسير العثيمين (سبأ) (صـ١٥٦).

لا تكن عند ظنّ إبليس!

إقامة الحجّة على
استحقاق الله وحده
للعبادة، ووجوب شكره.

المقطع الرابع

ما مضى ذكره من أمر داود وسليمان -عليهما السلام- وقصة سبأ... من آثار قدرة الله تعالى، وجاءت الآيات هنا لتقرر أن لا قدرة ولا ملك إلّا لله وحده، والرزق والهداية منه وحده؛ وفي هذا حُجَّة على وجوب عبادته وشكره والحذر من كفره(*)، قال تعالى:

﴿قُلِ ٱدۡعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُوا ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٦ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾.

(*) انظر: الموضوعي (٦/ ٢٠٧-٢٠٨) وسعيد حوى، الأساس في التفسير (٨/ ٤٥٢٩).

معاني الكلمات

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	وزن نملة صغيرة
شِرْكٍ	شراكة في الخلق
ظَهِيرٍ	معين
فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ	زال الفزع عن قلوبهم
يَفْتَحُ	يقضي
بِٱلْحَقِّ	بالعدل
ٱلْفَتَّاحُ	الحاكم بين خلقه

تفسير الآيات

﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

قل -أيّها الرسول- لهؤلاء المشركين: نادوا الذين زعمتم أنَّهم آلهة لكم من دون الله لِيَجْلِبُوا لكم النفع أو يكشفوا عنكم الضر، فهم لا يملكون وزن ذرَّة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس لله من مُعين يُعينه، فهو غني عن الشركاء وعن المعينين.

من معين الآية:

{وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ}: حتى لا يُقال أنهم قد يكونون أعوانًا للمالك ووزراء له؛ فدعاؤهم يكون نافعًا؛ لأنهم بسبب حاجة الملك إليهم، يقضون حوائج من تعلَّقَ بهم، فنفى تعالى هذه المرتبة.

السعدي[٦]

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُوا ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾

ولا تنفع الشفاعة عنده سبحانه إلا لمن أذن له، والله لا يأذن في الشفاعة إلا لمن ارتضى، لعظمته، ومن عظمته أنَّه إذا تكلم في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله حتى إذا كُشِف الفزع عن قلوبهم قالت الملائكة لجبريل: ماذا قال ربكم؟ قال جبريل: قال الحق، وهو العلي بذاته وقهره، الكبير الذي كل شيء دونه.

من معين الآية:

{وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ}: المشرك إنَّما يدعو ويعبد غير الله؛ لما يرجو منه من النفع؛ فهذا الرجاء هو الذي أوجب له الشرك؛ فإذا كان من يدعوه غير الله لا مالكًا للنفع والضر، ولا شريكًا للمالك، ولا عونًا وظهيرًا للمالك، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك؛ كان هذا الدعاء وهذه العبادة ضلالًا في العقل، باطلةً في الشرع.

بل ينعكس على المشرك مطلوبه ومقصوده؛ فإنَّه يريد منها النفع، فبيَّن الله بطلانه وعدمه، وبيَّن في آيات أُخَر، ضرره على عابديه وأنَّه يوم القيامة، يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضًا، ومأواهم النار.

السعدي[٦]

{حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ} يتبيَّن من الآية أنَّ للملائكة عقولًا وفهمًا وإدراكًا وقلوبًا، ومن صفاتهم أيضًا أنهم لا يأكلون ولا يشربون، وليس لهم أجواف ولا أمعاء، لأنَّه لا يحتاج إلى الجوف والأمعاء إلا من يأكل ويشرب.

محمد العثيمين[١٠]

عادة ما يشفع الناس بما لهم من أياد بيضاء وأفضال سابقة، وأمَّا العلي الكبير سبحانه فإنَّما يأذن بها برحمته وفضله وإحسانه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

لكلام الله بالوحي هيبة عند أهل السماء من الملائكة، وهم غير مكلّفين به، أفلا يكون الإنس والجن أشدّ هيبة لوحي الله وهم به مكلّفون؟

هدايات القرآن الكريم[١١]

سل الله سبحانه أن يُشفِّع فيك أنبياءه وملائكته وصالحي خلقه، ولا تسألها من أحد غيره كائنًا من كان[١٢].

ادع الله أن يُشفِّعك فيمن تُحِب[١٢].

أسماء حسنى

(العلي والكبير جلّ وعلا)

- **معنى اسم الله العلي جل جلاله:**

- **في اللغة:** العلي: الشريف، فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء.

- **في حقِّ الله تعالى:** قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "العلي بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته"، فالله له جميع أنواع العلو وهي: علو الذات؛ فالله مستوٍ على عرشه، وعرشه فوق المخلوقات، وعلو القهر والغلب؛ فكل مخلوقاته تحت قهره وسلطانه، علو المكانة والقدر؛ وهو الذي أطلق عليه القرآن "المثل الأعلى" أي: الصفات العليا التي لا يستحقها غيره.

- **معنى اسم الله الكبير جل جلاله:**

- **في اللغة:** من الكِبَر؛ وهو نقيض الصِّغَر، والكِبْرُ: العظمة، ويُقال: ورثوا المجد كابِرًا عن كابِرٍ، أي كبيرًا عن كبيرٍ في الشرفِ والعِزّ.

- **في حقِّه جل جلاله:** قال ابن جرير: "الكبير، يعني العظيم الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه".

- **مناسبة الاقتران بين اسمي الله تعالى "العلي والكبير" في الآية:**

الإيمان بعلوّ الله تعالى (ذاتًا وقهرًا وقدرًا) وبكبريائه؛ يُورث في النفس خضوعًا وخشوعًا وإخباتًا؛ وأخبر الله تعالى عن الملائكة الكرام -وهم بتلك المرتبة العالية وبتلك القوَّة والشدَّة- أنَّه يبلغ بهم من الخضوعِ والصعقِ عند سماع كلام ربهم هذا المبلغ، ويقرُّون كلُّهم للَّه أنَّه لا يقول إلَّا الحقَّ؛ فما بال هؤلاء المشركين الضعفاء الذين يقتلهم الهواء والماء، استكبروا عن عبادة من هذا شأنُه وعظمةُ ملكِهِ وسلطانِهِ؟! فتعالى العلي الكبير عن شرك المشركين وإفكهم وكذبهم(*).

- **هدايات:**

- الله أكبرُ مِنْ كلّ شيء، وأكبرُ من أنْ تُعرف حقيقة كبريائه وعَظَمته؛ وأكبر مِنْ أنْ نُحيط به علمًا.

- ذو الكبرياء سبحانه لا يماثله شيء في ذاته، فالسماوات السبع والأرضين السبع في كفِّه سبحانه كالخردلة في كفِّ أحدنا.

- ومن كبريائه أنَّ نواصي العباد بيده؛ فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته(**).

- من أعظم الأذكار التي يحبها الله -عز وجل- ذكره سبحانه بالتكبير، وقد شرعه الله تعالى إمَّا قبل العبادة أو بعدها، أو في المواضع الكبار التي يجتمع فيها الناس، أو في حضور عدوٍّ من شياطين الجنِّ والإنس... وذلك ليُبيِّن أن الله أكبر، وتستولي كبرياؤه في النفوس على كبرياء تلك الأمور الكبار.

- شُرِع لنا حال السجود ذكر ربنا باسمه الأعلى، وهذا في غاية المناسبة؛ ليذكر العبد حال انكبابه بوجهه -الذي هو أشرف ما فيه- على الأرض... علوَّ ربِّه وجلاله وعظمته.

- من الآثار السلوكيَّة والعمليَّة:

- إذا وقف العبد بين يدي ربِّه وقد عَلِم أن لا شيء أكبر منه، وتحقَّق قلبه ذلك؛ استحيا من الله أن ينشغل قلبه بغيره، وما لم يستحضر هذا المعنى فهو واقف بين يديه بجسمه، وقلبه يهيم في أوْدِيَة الوساوس والخطرات.

- احذر من العلو في الأرض بغير الحق، وتجنب ظلم العباد والتكبُّر عليهم.

- الله أكبر من مخاوفك وهمومك وحاجاتك، فاقصده وتوكَّل عليه ولا تقصد غيره، فكل كبير إذا أُضيف إلى الأكبر فإنَّه يتصاغر ويتضاءل حتى يصير لا شيء!

- "الله أكبر"؛ رطبّ لسانك بها؛ خاصة في المواطن التي شُرِع فيها هذا الذكر، ومنها: مع التسبيح والتحميد: (عقب صلاة الفريضة، وعند النوم، وعندما يتعارَّ الإنسان من نومه)، وعند رؤية الهلال أول الشهر، وعند التعجب وتعظيم الله... وغير ذلك من المواطن. وهي من الذكر المطلق ومن أحب الكلمات إلى الله تعالى.

- من ضوء الهدي النبوي في اسمَي الله "العلي والكبير" جل جلاله:

عَن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ سبْحانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إلَه إلاَّ اللَّه، وَاللَّه أكْبرُ، أَحبُّ إلَيَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ»

رواه مسلم (٢٦٩٥).

هذا الذِّكرُ مُشتمِلٌ على التَّنزيهِ والثَّناءِ والتَّوحيدِ والتَّعظيمِ للهِ سبحانه، فجَمَعَ بذلك أعظَمَ الصِّفاتِ للهِ وأعظَمَ الأسماءِ، وكَلماتُه هنَّ المُنْجياتُ والباقياتُ الصَّالحاتُ.

- من التأمل في الآيات الكونية وربطها باسمي الله "العلي والكبير" جل جلاله:

- من شواهد علوه وكبريائه سبحانه؛ كبر وعِظَم هذا الكون ومجراته ومخلوقاته؛ وكل مخلوق كبير هناك الأكبر منه.

- كل من تكبر على الله وعلى الحق، فقد أشهر إذلاله في الأرض؛ ويكفينا عظة بـ "قارون وفرعون".

(*) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١٤١٦) عبدالعزيز الجليل، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها (٢٥٨).

(**) السعدي،، تيسير الكريم الرحمن (١١١٢).

﴿*قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من السماوات بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الثمرات والزروع والفواكه؟ قل: الله هو الذي يرزقكم منها، وإنَّا أو إيَّاكم -أيُّها المشركون- لعلى هداية أو في ضلال واضح عن الطريق، فأحدنا لا محالة كذلك، ولا شكَّ أن أهل الهدى هم المؤمنون، وأنَّ أهل الضلال هم المشركون.

من معين الآية:

{قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ}: فإنَّهم لا بدَّ أن يقرُّوا أنَّه الله، ولئن لم يقرُّوا؛ فـ{قُلِ ٱللَّهُ} فإنَّك لا تجد من يدفع هذا القول، فإذا تبيَّن أنَّ الله وحده الذي يرزقكم، وينزل لكم المطر، وينبت لكم النبات... فلِمَ تعبدون معه من لا يرزقكم شيئًا، ولا يفيدكم نفعًا؟

السعدي[٦]

اشكر الله سبحانه وتعالى على رزقه الذي رزقك إياه[١٢].

{وإنّآ أوۡ إيّاكمۡ لعلىٰ هدًى أوۡ فى ضلٰلٖ مّبينٖ} ليس بين الحقّ والباطل طرف مُحايد، فإمّا أن تكون الحقّ، أو أن تكون على الباطل، ولا طرف بينهما إلا الوهم!

د. سعود الشريم[١٤]

{لعلىٰ هدًى أوۡ فى ضلٰلٖ مّبينٖ} استعملت (على) في صاحب الهُدى و(في) في صاحب الباطل: للدلالة على استعلاء صاحب الهدى وتمكُّنِهِ واطِّلاعه على ما يُريد، كالواقف على مكان عالٍ أو الراكب على جواد، وانغماس الضال في ضلاله، حتى كأنَّه في مهواة مُظلمة.

الموضوعي[٢]

في هذه الآية درس في آداب الجدل والمناظرة، يدلُّ على غاية الإنصاف والموضوعيَّة، والتجرُّد للحق وابتغائه في رفقٍ ولطفٍ بعيدًا عن أجواء التعصُّب والهوى، والجدل على هذا النحو المهذَّب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق، وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبُّره من الدعاة.

الموضوعي[٢]

تخيّر من أساليب الجدال أحسنها حكمة، وأقربها إلى إنصاف الخصم؛ ألا ترى كيف كان التقرير بأنَّ المشركين في ضلال مبين من غير مواجهتهم بذلك؟

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥﴾

قل لهم -أيها الرسول-: لا تسألون يوم القيامة، عن ذنوبنا التي ارتكبناها، ولا نسأل نحن عما كنتم تعملون.

من معين الآية:

هذا أبلغ في الإنصاف؛ حيث عبَّر عن الهفوات -التي لا يخلو عنها مؤمن- بما يُعبَّر به عن العظائم وأسند إلى النفس، وعن العظائم من الكفر ونحوه بما يُعبَّر به عن الهفوات وأسند للمخاطبين، وزيادة على ذلك أنَّه ذكر الإجرام المنسوب إلى النفس بصيغة الماضي الدالَّة على التحقُّق، وعن العمل المنسوب إلى الخصم بصيغة المضارع التي لا تدلُّ على ذلك.

الموضوعي[٢]

في هذه الآية دليل على الرفق بالمخالف والتلطُّف معه في الخطاب وترغيبه وكسب وُدِّه وعاطفته؛ حتى يُقبل على الحق ويذعن له، فلا يُكابر ولا ينفر من أهل الحق.

الموضوعي[٢]

لكلّ امرئ أجر عمله، وعليه تبعته، فرحم الله امرءًا نظر في أمره وتأمَّل ما هو فيه، فإن كان يقوده إلى الخير مضى فيه، أو إلى بوار أعرض عنه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

قل لهم: يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا وبينكم بالعدل، فيبيّن المحقّ من المبطل، وهو الحاكم الذي يحكم بالعدل، العليم بما يحكم به.

من معين الآية:

{قُلْ} يُؤخذ منها وجوب مناظرة المشركين ومُحاجَّتهم؛ لأنَّ الأصل في الأمر الوجوب.

محمد العثيمين[١٠]

لأعمال العباد دار آخرة يحكم بينهم فيها أحكم الحاكمين، ويفصل بين المختصمين أعدل العادلين.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{الفتَّاح} صيغة مبالغة، وإنَّما سمَّى الله تعالى نفسه بالفتَّاح؛ لكثرة فتوحاته على خلقه وحُكْمه بينهم.

والفتح يأتي بمعنى: النصر، والحكم بين الناس والفصل، فله معان بحسب السياق، فالله تعالى هو الفتَّاح الذي يفتح على عباده بالنصر، ويفتح على عباده بالفهم، ويفتح على عباده بحسن النية والقصد؛ فهو متضمن لأشياء كثيرة؛ ولهذا جاء بصيغة المبالغة.

محمد العثيمين[١٠]

{العليم} ذو العلم الواسع، علم أزلي أبدي، فالأزلي: أي لم يُسبق بجهل، والأبدي: أي لا يلحقه نسيان، قال تعالى: {قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} [طه: ٥٢]، يعني: لا يجهل ما سيأتي ولا ينسى ما مضى.

محمد العثيمين[١٠]

أتبع {الفتّاح} بـ{العليم} للدلالة على أنَّ حكمه عدل محض؛ لأنَّه عليم لا تحفُّ بِحُكْمِه أسباب الخطأ والجور الناشئة عن الجهل والعجز واتباع الضعف النفساني الناشئ عن الجهل بالأحوال والعواقب.

ابن عاشور (١٩٥/٢٢)[١٢]

{وهو ٱلۡفتّاح ٱلۡعليم} اسم الله الفتّاح يدلّ على أنّ كلّ شيء مغلق حتى يفتحه الله! تصوّر هذا عند دعائك.

عقيل الشمري[١٥]

﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾

قل لهم -أيُّها الرسول-: أروني الذين جعلتموهم لله شركاء تشركونهم معه في العبادة، كلا، ليس الأمر كما تصوَّرتم من أنَّ له شركاء، بل هو الله العزيز الذي لا يُغالبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره.

من معين الآية:

ألا يُقنِع المشركين النظر إلى ما يعبدونه من الأصنام أنَّها غير جديرة بالاهتمام، فهي جمادات لا تضرّ ولا تنفع، ولا تخفض ولا ترفع!

هدايات القرآن الكريم[١١]

على المُنَاظِر سلوك التحدِّي فيما يُعْلم امتناعه من الخصم، لأنَّك إذا تحدَّيْتَه في أمر لا يُمكِنه وظَهَرَ عجزه تبيَّن بُطلان دعواه، كما في قوله تعالى هنا: {قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ} يعني: أعلموني ماذا خلقوا! بماذا نفعوا!

بخلاف ما إذا تحدَّيته بأمر يمكنه أن يفعله فإنَّ هذا يضر بك.

محمد العثيمين[١٠]

{بلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ} العزَّة لها ثلاثة معان: عزَّة القَدْر، وعزَّة الامتناع، وعزَّة القَهْر.

فهو (عزيز القدْر) مثل قولنا: فلان عزيز علي، أي: قدره عندي عظيم، و(عزَّة القَهْر) مثل قوله تعالى: {وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ} [ص: ٢٣] أي: غلبني في الحجَّة، و(عزة الامتناع) أي: أنَّ الله تعالى يمتنع أن يناله سوء؛ لعزته، ومنهم من يقول: أرض عزاز، أي: قويَّة صلبة.

بتصرف يسير: محمد العثيمين[١٠]

{ٱلۡحَكِيمُ} وهو الذي لا يقع في فعله سَفَه، قال الله تبارك و تعالى: {وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ} [الدخان: ٣٨] وقال تعالى: {أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ} [المؤمنون: ١١٥].

محمد العثيمين[١٠]

{ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}: ولو لم يكن في حكمته في شرعه إلَّا أنَّه أمر بتوحيده، وإخلاص الدين له، وأحبَّ ذلك، وجعله طريقًا للنجاة، ونهى عن الشرك به، واتخاذ الأنداد من دونه، وجعل ذلك طريقًا للشقاء والهلاك؛ لكفى بذلك برهانًا على كمال حكمته؛ فكيف وجميع ما أمر به ونهى عنه مُشتمِلٌ على الحكمة؟

السعدي[٦]

مناسبة

وبعد إثبات التوحيد، أَبَانَ الله تعالى عموم الرسالة المحمدية للناس جميعًا، فليست ذات نزعة عنصرية، ولا حِكْرًا على العرب وحدهم، فقال تعالى(*):

﴿وما أرسلناك إلّا كآفّةً للنّاس بشيرًا ونذيرًا ولٰكنّ أكثر النّاس لا يعلمون ﴿٢٨﴾﴾

وما بعثناك -أيُّها الرسول- إلا للناس عامَّة مُبشِّرًا أهل التقوى بأنَّ لهم الجنة، ومخوِّفًا أهل الكفر والفجور من النار، ولكن معظم الناس لا يعلمون ذلك، فلو علموه لما كذَّبوك.

من معين الآية:

إرسال الله تعالى رسوله إلى الناس كافَّة يعني أنَّ رسالته تصلح لهم أينما كانوا، وفي أيِّ زمان وُجِدُوا.

هدايات القرآن الكريم[١١]

الجهل بما جاءت به النبوَّة من أعظم الآفات التي عدلت بأهلها عن طريق النَّجاة.

هدايات القرآن الكريم[١١]

(*) الزحيلي، التفسير المنير (١٨٣/٢٢).

أحاديث نبوية

أشارت الآيات إلى مسألة الشفاعة يوم القيامة، وقد ورد في السنة النبويَّة أعمال تستوجب لصاحبها شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، منها:

٧. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن قالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ والفَضِيلَةَ، وابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ، حَلَّتْ له شَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ** [١٠]».

رواه البخاري (٦١٤).

٨. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّه قال: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لقَدْ ظَنَنْتُ، يا أبَا هُرَيْرَةَ، أنْ لا يَسْألَنِي عن هذا الحَديثِ أحَدٌ أوَّلُ مِنْكَ، لِما رَأَيْتُ مِن حِرْصِكَ علَى الحَديثِ، أسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ مَن قَالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِن قِبَلِ نَفْسِهِ**»(**).

رواه البخاري (٦٥٧٠).

---

(١٠) «اللَّهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعوةِ التَّامَّةِ»، أي: ألفاظِ الأذانِ الَّتي يُدْعى بها إلى عِبادةِ الله تعالى، والمُرادُ بالتامَّةِ: الكاملةُ التي لا يَدخُلُها تغييرٌ ولا تَبديلٌ، بلْ هي باقيةٌ إلى يَومِ القِيامةِ. «والصَّلاةِ القائمةِ»، أي: الدَّائمةِ، أعْطِ مُحَمَّدًا «الوَسيلةَ»، وهي المَنزِلةُ العاليةُ في الجنَّةِ الَّتي لا تَنبَغي إلَّا له صلى الله عليه وسلم «والفَضِيلةَ»، وهي المَرتَبةُ الزَّائِدةُ على سائِرِ المَخلوقينَ، ويَحتمِلُ أنْ تكونَ الفَضيلةُ مَنزِلةً أُخرى، «وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وعَدْتَهُ» وهي المَنزِلةُ يَومَ القِيامةِ الَّتي يَحمَدُه لأَجْلِها جَميعُ أهلِ المَوقِفِ، وهو مَقامُ الشَّفاعةِ العُظمَى، «الَّذي وَعَدْتَه»، أي: ذلك المَقام الَّذي ذَكَرْتَه في كِتابِك بقولك: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩]. ثمَّ بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم الجزاءَ لِمَن قال هذا الدُّعاءَ، وهو أنَّه استَوْجَبَ واستَحَقَّ شَفاعةَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يَومَ القِيامةِ، وشَفاعتُه صلى الله عليه وسلم تكونُ للمُذْنِبينَ، أو في إدخالِ الجنَّةِ مِن غيرِ حِسابٍ، أو رَفْعِ الدَّرجاتِ يَومَ القيامةِ؛ كُلٌّ بحسَبِ حالِه.

(**) فأجابَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ أسعدَ الناسِ بشَفاعتِه يومَ القِيامةِ هو مَن قال: «لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ» مُعتقِدًا معْناها، عامِلًا بمُقتضاها إجمالًا، مُخلِصًا في الإيمانِ بتَرْكِ الشِّركِ، وفي الطاعةِ بتَرْكِ الرِّياءِ. وكَونُ المؤمِنِ المُخلِصِ أكثَرَ سَعادةً مِن غيرِه بالشَّفاعةِ؛ لأنَّ التَّفضيلَ يكونُ بحسَبِ المَراتِبِ، فيكونُ هو أسعَدَ ممَّن لم يكُنْ في هذه المَرتبةِ مِن الإخلاصِ المُؤكَّدِ البالِغِ غايتَه، فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَشفَعُ في الخلْقِ بإراحتِهم مِن هَولِ المَوقفِ، ويَشفَعُ في بَعضِ المؤمنينَ بالخروجِ مِن النارِ بعْدَ أنْ دَخَلوها، وفي بَعضِهم بعدَمِ دُخولِها بعْدَ أنْ يَستوجِبوا دُخولَها، وفي بَعضِهم بدُخولِ الجنَّةِ بغيرِ حِسابٍ، وفي بَعضِهم برَفْعِ الدَّرَجاتِ فيها، فظَهَرَ الاشتراكُ في مُطلَقِ السَّعادةِ بالشَّفاعةِ، وأنَّ أسعَدَهم بها المؤمنُ المُخلِصُ.

ما الآية التي قطعت جميع عروق الشرك؟

استعجال المكذبين للعذاب،
وحالهم عند وقوعه

المقطع الخامس

وبعد بيان التوحيد ثم الرسالة، ذَكَرَ الحشر، فأخبر تعالى عن استبعاد الكفار قيام الساعة وأجاب عنه، ثم ذَكَر صورة من الحوار الحادّ بين الرؤساء المُضِلّين والأتباع الضالين، وأوضح وصفًا للجزاء الذي يلْقَوْنَه على أعمالهم في الدنيا، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

معاني الكلمات

وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ	ولا بالَّذي تقدَّمه من التَّوراة والإنجيل والزَّبور
مَوْقُوفُونَ	محبوسون في موقف الحساب
يَرْجِعُ	يردُّ بعضهم على بعض
بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ	بل تدبير الشَّرِّ لنا باللَّيل والنَّهار هو الَّذي أهلكنا
ٱلنَّدَامَةَ	التَّحسُّر

تفسير الآيات

مناسبة

أخبر الله تعالى أنَّه ما أرسل رسوله إلَّا للبشارة والنذارة، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون، ومن عدم عِلْمِهم جعلُهُم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول مُوجِبًا لردِّ دعوته، وكان مِمَّا اقترحوه: استعجالُهم العذاب الذي أنذرهم به(*)، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾

ويقول المشركون مُستعجلين بالعذاب الذي يُخوَّفون منه: متى هذا الوعد بالعذاب إن كنتم صادقين فيما تَدَّعُونَه مِن أنَّه حَقٌّ؟

من معين الآية:

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} هذا ظلم منهم؛ فأيُّ ملازمة بين صدقِهِ وبين الإخبار بوقت وقوعِهِ؟! وهل هذا إلا ردٌّ للحقِّ، وسَفَهٌ في العقل؟! أليس النذير في أمر من أحوال الدنيا، لو جاء قومًا يعلمون صدقَه ونُصحه، ولهم عدوٌّ ينتهِزُ الفرصة منهم ويُعِدُّ لهم، فقال لهم: تركتُ عدوَّكم قد سار يُريد اجْتِيَاحَكُم واستئصالَكم؛ فلو قال بعضُهم: إن كنتَ صادقًا؛ فأخبِرنا بِأَيَّةِ ساعةٍ يصل إلينا؟ وأين مكانَه الآن؟ فهل يُعدُّ هذا القائل عاقلًا أم يُحكم بسفهِهِ وجنونِهِ؟!

هذا، والمخبر يمكن صدقُهُ وكذبُهُ، والعدوُّ قد يبدو له غيرهم وقد تنحلُّ عزيمته، وهم قد يكون بهم مَنَعَةٌ يُدافعون بها عن أنفسهم؛ فكيفَ بمن كذَّب أصدقَ الخلقِ، المعصوم في خبره، الذي لا ينطِق عن الهوى بالعذاب اليقين، الذي لا مدفع له، ولا ناصر منه، أليس ردُّ خبرِهِ بحجَّة عدم بيانه وقت وقوعِهِ من أسفه السفه؟!

السعدي[٦]

(*) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١٤١٩).

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٠﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لكم ميعاد يوم محدد، لا تتأخَّرون عنه ساعة، ولا تتقدَّمون عنه ساعة، وهذا اليوم هو يوم القيامة.

من معين الآية:

يؤكِّد القرآن مسألة تجريد عقيدة التوحيد حين يُبيِّن أنَّ الرسول ذو رسالة محدَّدة يؤدِّيها بأمانة، ومن الناس من لا يُدرك وظيفة هذا الرسول الكريم ولا حدود رسالته.

هدايات القرآن الكريم[١١]

في تذكُّر المؤمن أمور الآخرة ومواقف القيامة واستحضار مشاهدها... ما يُسلِّي الفؤاد ويُثبِّت القلب، ويزيده يقينًا بوعد الله وإجلالًا وهيبة بعظمة مقام الله مما يُهوِّن عليه كل بلاء.

التفسير الموضوعي[٢]

مناسبة

لمَّا ذكر تعالى أنَّ ميعاد المستعجلين بالعذاب لا بدَّ من وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، قال تعالى(*):

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾

وقال الذين كفروا بالله: لن نؤمن بهذا القرآن الذي يزعم محمد أنَّه مُنزَّلٌ عليه، ولن نؤمن بالكتب السماوية السابقة، ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند

(*) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١٤١٩).

ربهم يوم القيامة للحساب، يتراجعون الكلام بينهم، يُلقي كل منهم المسؤولية واللوم على الآخر، يقول الأتباع الذين استُضْعِفوا لسادتهم الذين استضعفوهم في الدنيا: لولا أنكم أضللتمونا، لكنا مؤمنين بالله وبرسله.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قال المتبوعون الذين استكبروا عن الحقِّ للتابعين الذين استضعفوهم: أنحن منعناكم عن الهدى الذي جاءكم به محمد؟! لا، بل كنتم ظلمة وأصحاب فساد وإفساد.

من معين الآية:

{أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم} هذا إقرار من هؤلاء الرؤساء المستكبرين على أنَّ الهدى قد جاء وبان ووضح.

محمد العثيمين[١٠]

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۖ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وقال المتبوعون -الذين استضعفهم سادتهم- لمتبوعيهم المستكبرين عن الحق: بل صدَّنا عن الهدى مكركم بنا بالليل والنهار حين كنتم تأمروننا بالكفر بالله، وبعبادة مخلوقين من دونه. وأخفوا الندامة على ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا حين شاهدوا العذاب، وعلموا أنَّهم مُعَذَّبون، وجعلنا الأصفاد في أعناق الكافرين، لا يجزون هذا الجزاء إلا بما كانوا يعملونه في الدنيا من عبادة غير الله وارتكاب المعاصي.

من معين الآية:

من مكر أهل الشر والفساد أنَّهم لا يأتوا بالأمر بالمنكر مباشرة، "ازنوا، اشربوا الخمر"، ولكنهم يخادعون، ويأتون بأسباب الزنا وطرق الزنا بسبيل التقدم، والحرية، والمساواة، وبادعائهم بأن مخالطة الرجل بالمرأة مما يقلل من الغريزة الجنسية بينهما، وما أشبه ذلك... ولو أتوا بالمقبوح على وجهه هكذا لنفرت منه النفوس، ولا قبلته.

بتصرف: محمد العثيمين[١٠]

{بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ} أضاف المكر إلى الليل والنهار؛ لتدل هذه الإضافة على الدّؤوب والدوام.

ابن عطية (٤/٤٢١)[١٢]

أحاديث نبوية

أشارت الآيات إلى إحدى خصائص النبي صلى الله عليه وسلم والتي فُضِّلَ بها على غيره من الأنبياء، وهي أنَّه بُعِثَ إلى الناس كافَّة، وفي السنة النبوية ذِكْرٌ لهذه الخصائص:

٩. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، و أَيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»(*).**

رواه البخاري (٤٣٨).

(*) ١- نُصِرَ بالرُّعبِ مَسيرةَ شهرٍ؛ فيُقذَفُ الله في قلوبِ أعدائِه الرُّعبُ وهو على بُعْدِ مَسيرةِ شهرٍ بيْنَه وبيْنَهم. ٢- وجُعِلتِ الأرضُ له مسجدًا وطَهورًا، فمتى أدركَتِ الرَّجُلَ الصَّلاةُ فإنَّه يُصلِّي في المكانِ الَّذي تُدرِكُه فيه، وإنْ لم يَجِدِ الماءَ فإنَّه يَتيمَّمُ بالتُّرابِ الطاهِرِ وما في حُكْمِه ثمَّ يُصلِّي، فالصَّلاةُ لا تختصُّ بالمساجِدِ المُعَدَّةِ لذلك فقط كما كان على الأُمَمِ السابِقةِ. ٣- وأُحِلَّت له الغنائمُ، وهي الَّتي يأخُذُها المسلمونَ في حربِهم مع الكفَّارِ، وكلُّ ما يَحصُلون عليه مِن الكفارِ قهرًا، ولم تكنْ تَحِلُّ لِلأنبياءِ قبلَه. ٤- وكانتْ بَعثتُه صلى الله عليه وسلم لِلنَّاسِ كافَّةً، وكان النبيُّ قبْلَه يُبعَثُ إلى قَومِه فقطْ. ٥- أُعطِيَ الشَّفاعةَ، والشَّفاعةُ الَّتي يختصُّ بها صلى الله عليه وسلم مِن دُونِ الأنبياءِ أربعةُ أنواعٍ؛ أحدُها: شفاعتُه للخَلقِ في فصْلِ القضاءِ بيْنَهم، والثانيةُ: شفاعتُه لأهلِ الجنَّةِ في دُخولِ الجنَّةِ، والثالثةُ: شفاعتُه في أهلِ الكبائرِ مِن أهلِ النَّارِ، فقد قيل: إنَّ هذه يختصُّ هو بها، والرابعةُ: كثرةُ مَن يَشفعُ له مِن أُمَّتِه؛ فإنَّه وفَّر شفاعتَه وادَّخَرها إلى يَومِ القيامةِ.

حوارات صريحة!

طبيعة المترفين
وجوابهم لرسلهم

المقطع السادس

انتقلت الآيات إلى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم مما ابتلي به من تكذيب قومه، وخصَّ بالتكذيب المترَفين المعتمدين على كثرة الأموال والأولاد؛ لأنَّ الدَّاعي إلى التكبُّر والاستعلاء المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات(*)، فقال تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾.

(*) الزحيلي، التفسير المنير (٢٢/١٩٣-١٩٤).

معاني الكلمات

يَبْسُطُ	يُوسِّع
وَيَقْدِرُ	يُضيِّق
زُلْفَىٰٓ	قُربى
جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ	الثَّواب المضاعف
ٱلْغُرُفَٰتِ	المنازل الرَّفيعة في الجنَّة
يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا	يجاهدون في إبطال حُجَجِنا
مُعَٰجِزِينَ	مشاقِّين يظنُّون أنَّهم يفوتوننا
مُحْضَرُونَ	تحضرهم الزَّبانية إلى جهنَّم
وَيَقْدِرُ لَهُۥ	يضيِّقه عليه

تفسير الآيات

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

ولِتَسلية الرسول ﷺ حين كذَّبه قومه ذكَّره الله بأنَّ التكذيب هو دَيْدَن الأمم من قبله، فقال:

وما بعثنا في قرية من القرى من رسول يخوِّفهم عذاب الله إلَّا قال المنعَّمون فيها من أصحاب السلطان والجاه والمال: إنَّا بما بُعثتم به -أيُّها الرسل- كافرون.

من معين الآية:

الترف من عوامل الصدود والإعراض عن الحق، ومن عوامل هدم الأمم وإبادة الشعوب، وقد كان النبي -فيما رواه أبو داوود(*)- ينهى عن كثرة الإرفاه -والإرفاهُ أن يَستكثِرَ المرء من التزيُّن والزينة، فيُضيعَ وقتَه في ذلك- فهو لا ينهى عن الرفاهية مطلقًا، ولكن عن كثرتها.

التفسير الموضوعي[٢]، محمد العثيمين[١٠]

لطالما كانت الدنيا ومُغرياتها حجابًا بين العبد وإيمانه بالله، فكم غلَّظ التهالك عليها من قلوبٍ، وأفقدها حساسيَّتها، وأفسد فطرتها!

هدايات القرآن الكريم[١١]

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾

وقال أصحاب الجاه هؤلاء متبجِّحين مفتخرين: نحن أكثر أموالًا وأكثر أولادًا، وما زعمتم من أنَّنا معذَّبون كذب، فلسنا بمعذَّبين في الدنيا ولا في الآخرة.

من معين الآية:

المال ليس قيمة في ذاته، وليس عصمة ووقاية لصاحبه، وليس دليلًا على قربه من الخالق الرزاق عز وجل، وليس برهانًا على نجاته في الآخرة.

التفسير الموضوعي[٢]

قل: اللهم اجعلنا عند النعماء من الشاكرين، وعند البلاء من الصابرين[١٢].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المغرورين بما أوتوا من النِّعَم: ربي سبحانه وتعالى يوسِّع

(*) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: «أنَّ رجلًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ رحلَ إلى فَضالةَ بنِ عبيدٍ وَهوَ بمصرَ، فقدمَ عليهِ، فقال: أما إنِّي لم آتِكَ زائرًا، ولَكنِّي سمعتُ أنا وأنتَ حديثًا من رسولِ اللَّهِ ﷺ رجوتُ أن يَكونَ عندَكَ منْهُ علمٌ، قال: وما هو؟ قال: كذا وَكذا، قال: فما لي أراكَ شعثًا وأنتَ أميرُ الأرضِ؟ قال: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ ينْهانا عن كثيرٍ منَ الإرفاهِ، قال: فما لي لا أرى عليْكَ حِذاءً؟ قال: كانَ النَّبيُّ ﷺ يأمرُنا أن نحتَفِيَ أحيانًا» صحيح أبي داوود (٤١٦٠).

الرزق لمن يشاء اختبارًا له أيشكر أم يكفر، ويُضيِّقه على من يشاء ابتلاءً له أيصبر أم يتسخَّط؟ ولكنَّ مُعظم الناس لا يعلمون أنَّ الله حكيم؛ لا يُقدِّر أمرًا إلا لحكمة بالغة؛ عَلِمَها مَن عَلِمَها وجَهِلَها مَن جَهِلَها.

من معين الآية:

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ} إخبار يتضمَّن الردّ عليهم بأنَّ بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلَّق بمشيئة الله؛ فقد يُوسِّع الله على الكافر وعلى العاصي، ويُضيِّق على المؤمن والمطيع، وبالعكس، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة.

ابن جزي (٢/ ٢٠٨)[١٢]

الحكمة العظيمة البالغة في اختلاف الناس في سعة الرزق وضيقه، ولولاه ما قامت مصالح الخلق، فلو كان الناس على حدٍّ سواء في الغنى فلن يخدم بعضهم بعضًا، ولن يقوم بعضهم بمصالح بعض، وانظر إلى قوله عز وجل: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الزخرف: ٣٢] لماذا؟ {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف ٣٢].

محمد العثيمين[١٠]

{وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أكثر الناس جُهَّال بحكمة الله عز وجل في أفعاله.

محمد العثيمين[١٠]

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

وليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها هي التي تقودكم إلى رضوان الله، لكن من آمن بالله وعمل عملًا صالحًا حاز الأجر المضاعف، فالأموال تقرِّبه بإنفاقها في سبيل الله، والأولاد بدعائهم له، فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم ثواب مضاعف لما عَمِلُوه من حسنات، وهم في المنازل العليا من الجنة، آمنون من كل ما يخافونه من العذاب والموت وانقطاع النعيم.

من معين الآية:

المؤمن ينفعه ماله وولده، والكافر لا ينتفع بهما.

المختصر في التفسير[١]

{إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا} العمل الصالح: هو ما كان خالصًا لله سبحانه، موافقًا لشريعته عز وجل، فالعمل الذي فيه رياء ليس بصالح؛ لأنَّه لم يكن خالصًا، والعمل الخالص المبتدع ليس بصالح؛ لأنَّه ليس موافقًا لشريعة الله عز وجل.

محمد العثيمين[١٠]

منازل الجنة عالية؛ لقوله سبحانه وتعالى: {وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ} والغرفة: البيت المُعتلي يُصعد إليه بدرج، أمَّا الذي في الأرض فيُسمَّى حُجرة، ولا يُسمَّى غرفة، والبيت العالي أعزُّ منزلًا من البيت الأرضي وأجمل منظرًا وأشمل مَرْأًى.

بتصرف: ابن عاشور[٣]، ومحمد العثيمين[١٠]

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

والكفار الذين يبذلون غاية جهدهم في صرف الناس عن آياتنا ويسعون في تحقيق أهدافهم؛ هؤلاء خاسرون في الدنيا معذَّبون في الآخرة.

من معين الآية:

لما ذكر الله تعالى جزاء المؤمنين ذكر جزاء غيرهم؛ لأنَّ القرآن مثانٍ، تُثنَّى فيه المعاني؛ فإذا ذُكِر الثواب ذُكِر العقاب، وإذا ذُكِر المؤمن ذُكِر الكافر، وذلك تنشيطًا للنفس، ولأجل أن يكون الإنسان عند تلاوة القرآن دائرًا بين الخوف والرجاء.

محمد العثيمين[١٠]

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

قل -أيُّها الرسول-: إنَّ ربي سبحانه وتعالى يُوسِّع الرزق لمن يشاء من عباده، ويُضيِّقه على من يشاء منهم، وما أنفقتم من شيء في سبيل الله، فالله سبحانه وتعالى يُخلِفُه عليكم في الدنيا بإعطائكم ما هو خير منه، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله سبحانه

هو خير الرازقين، فمن طلب الرزق فليلجأ إليه سبحانه.

من معين الآية:

{يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ} يحتمل معنيين:

الأول: أنَّ الله عز وجل يبسط الرزق لمن يشاء ثم يضيق عليهم؛ يعطي النعم ثم يزيلها، يمنّ على الإنسان بالأولاد فيموتون، وبالمال فيفنى، وهذا تضييق بعد البسط.

الثاني: أنَّ الله عز وجل يبسط الرزق لقوم ويقدره لآخرين.

هل المعنيان يتنافيان؟

الجواب: لا، وإذا كانا لا يتنافيان؛ **فالقاعدة في التفسير**: أنَّ المعنيين إذا كانا لا يتنافيان فإنَّ الآية تُحمل عليهما جميعًا.

محمد العثيمين[١٠]

{لِمَنْ يَشَاءُ} كل فعل عَلَّقه الله بالمشيئة فهو مقرون بالحكمة؛ {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان ٣٠]، فمشيئته سبحانه وتعالى تابعة لحكمته، فإذا اقتضت حكمته أن يُوسِّع الرزق لأحد وسَّعه، وإذا اقتضت حكمته أن يُضيِّقَه ضيَّقه.

محمد العثيمين[١٠]

{مِنْ عِبَادِهِ} المراد بالعباد: العبوديَّة العامة؛ لأنَّ المُشاهَد أنَّ الكافرين والمؤمنين على السواء؛ منهم من يبسط الله لهم الرزق، ومنهم من يُضيِّقه.

والعبوديَّة تنقسم إلى عامة، وخاصة؛ فالعامة: التي تشمل جميع الخلق، والمراد بها العبوديَّة الكونيَّة التي قال الله عنها: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم:٩٣]، وأما الخاصة: فهي عبوديَّة الطاعة الشرعيَّة، وهي التي قال فيها: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان:٦٣].

محمد العثيمين[١٠]

الله سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ابتلاءً واختبارًا هل يشكر أم يكفر؟ قال تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء:٣٥] وكم من إنسان كان في حال الفقر أصلح مما كان بعد الغنى، وكم من إنسان بالعكس كان فقيرًا مُسْرِفًا على نفسه ولما أغناه الله هداه، فالله عز وجل يبسط الرزق لمن يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة.

محمد العثيمين[١٠]

لا يبسط الرزق لامرئٍ لذكائه وكرامته، ولا يُضيِّق عليه لغبائه وهوانه، بل ذلك يرجع إلى علم الله وحكمته؛ فكم من ذكيٍّ يعيش في أحضان الفقر، وسِواه في أحضان الغِنى مُختال!

هدايات القرآن الكريم[١١]

{وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ} المؤمن بربّه الموقن بوعده المُصدِّق بكلامه، لا يبخل عن الإنفاق وقد أخبره الله بأنَّ ما أنفقه من أجله فإنَّه سيُعوِّضه في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالثواب.

هدايات القرآن الكريم[١١]

قال ابن العربي: "قد يُعوِّض مثله أو أزيد، وقد يُعوِّض ثوابًا، وقد يدَّخر له، وهو كالدعاء في وعد الإجابة" وقد يُعوِّض صحةً، وقد يُعوِّض تعميرًا، ولله في خلقه أسرار.

ابن عاشور (٢٢/٢٢١)[١٢]

حتى ما تنفقه من راحتك ومشاعرك وما تمنحه للآخرين من فرحة رغم آلامك يخلفه انشراحًا وفرحةً في قلبك.

د. عبدالله بلقاسم[١٦]

ما أهون الإنفاق على من يعلم أن الله تعالى يرضى عنه، ويُخلِف عليه نفقته عاجلًا أو آجلًا.

هدايات القرآن الكريم[١١]

في قوله تعالى: {وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ} إثبات أنه لا رازق سِوَى الله تعالى، فإنَّ الآية تدلُّ على وجود مُفضَّل ومُفضَّل عليه مشتركين في أصل المُفضَّل به، وهو الرزق، ولكن رزق غير الله تعالى من رزق الله تعالى؛ لأنَّ هذا الذي يُعطي من أين له العطاء؟ من الله تعالى، فيكون إعطاؤه من رزق الله تعالى الذي أعطاه، وأيضًا فإنَّ رزق غير الله سبحانه وتعالى رزق محدود، ليس شاملًا لكلِّ أحد، وليس شاملًا لكلِّ زمن.

محمد العثيمين[١٠]

الله عز وجل هو خالق الرزق وخالق أسبابه، فاطلب الرزق منه وحده، ولا تُعلِّق قلبك بسواه[١١].

أحاديث نبوية

أشارت الآيات إلى أنَّ المال والرزق الوفير ليس دليلًا على عُلُوِّ منزلة العبد عند ربِّه، وفي السنة النبوية ما يؤكد هذا المعنى:

١٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ**».

رواه مسلم (٢٥٦٤).

بيَّنت الآيات أن الله عز وجل يُعوِّض العبد إن أنفق ماله فيما أمره الله به بالبدل في الدنيا، وبالجزاء والثواب في الآخرة، كما ثبت في الحديث:

١١. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِن يَومٍ يُصْبِحُ العِبادُ فِيهِ، إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(*).

رواه مسلم (٢٥٦٤).

بيَّنت الآيات أنَّ الرزق بِيَدِ الله تعالى، يبسطه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، وِفْقَ حكمته تعالى وعلمه بعباده، وقد جاء في السنة النبوية ثناء لمن قنع بما آتاه الله من الرزق وحمد الله عليه:

١٢. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ**»(**).

رواه مسلم (١٠٥٤).

(*) في الحديثِ: الحَضُّ على الإنفاقِ، وأنَّ المُمسِكَ البَخيلَ يَستحِقُّ تلَفَ مالِه.

(**) كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَتعهَّدُ أصحابَه بالموعظةِ والنُّصحِ والتَّرغيبِ في مَعالي الأمورِ؛ لتكونَ الدُّنيا في أيْديهم وليْس في قُلوبِهم، ويكونَ ما حَصَّلوه منها عونًا لهم على الطَّاعةِ. وفي هذا الحديثِ إرشادٌ مِنَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لِأُمَّتِه إلى أنَّ طلَبَ الزِّيادةِ على الكَفافِ لا يَنبغِي أنْ يُتعِبَ الإنسانُ نفْسَه في طلَبِه؛ لأنَّ المحمودَ مِنَ الرِّزقِ ما حَصَلَتْ به القوَّةُ على الطَّاعةِ، ويكونُ الاشتِغالُ به على قَدْرِ الحاجَةِ، فأخبَرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قدْ حاز الفَلَاحَ وفاز به، مَن أسْلَمَ إسلامًا صَحيحًا، ورُزِقَ الكِفايَةَ بلا زِيادةٍ ولا نَقْصٍ، وما يَكُفُّ عن الحاجاتِ ويَدْفَعُ الضَّروراتِ والفَاقَاتِ، «وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتَاهُ»، أي: رَزَقَه اللهُ القَناعَةَ بما عندَه مِن الكَفافِ، فلم تَطمَحْ نفْسُه لطلَبِ ما زاد على ذلك.

"أفضلهما أتقاهما"

عَوْدٌ إلى مشاهد القيامة
(تقريع الكفار أمام معبوداتهم)

المقطع السابع

هذا المقطع عَطْفٌ على قوله تعالى: {ولوْ ترىٰٓ إذ ٱلظّٰلمون موْقوفون عند ربّهمْ}؛ استكمالًا لتصوير فظاعة حالهم في يوم القيامة الذي أنكروه، فوصف هنا افتضاحهم بتبرؤ معبوداتهم منهم، وشهادتِهم عليهم أنَّهم يعبدون الجنَّ[١٧]، فقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

معاني الكلمات

سُبْحَٰنَكَ	ننزِّهُك
أَنتَ وَلِيُّنَا	أنت الّذي نواليه ونعبده

تفسير الآيات

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾

واذكر -أيُّها الرسول- يوم يحشرهم الله جميعًا، ثم يقول سبحانه للملائكة تقريعًا للمشركين وتوبيخًا لهم: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله؟

(١٧) بتصرف: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٢/٢٢١).

من معين الآية:

الاقتصار على تقرير الملائكة واستشهادهم على المشركين؛ لأن إبطال إلَهيَّةِ الملائكة يفيد إبطالَ إلَهيَّة ما هو دونه ممَّن عبد من دون الله من باب أولى، فإنَّ ذلك التقرير من أجَلِّ ما جُعِلَ الحشرُ لأجلِهِ.

ابن عاشور (٢٢/٢٢٢)[١٢]

سبحان الملك العدل الذي لا يُدخِل الكافرين النار حتى يُقيم عليهم الحُجج، ويُسقِط عنهم الأعذار، وتشهد عليهم الشهود! وإلَّا فعلمه بحالهم يكفي عن سؤالهم وسؤال سواهم عنهم.

هدايات القرآن الكريم[١١]

انطق بشهادة التوحيد، قاصدًا التبرؤ من كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى[١٢].

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾

قال الملائكة: تنزَّهْتَ وتقدَّسْتَ! أنتَ وليُّنا من دونهم، فلا مُوالاة بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين، يتمثَّلُون لهم أنَّهم ملائكة فيعبدونهم من دون الله، معظمهم بهم مؤمنون.

من معين الآية:

{قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ} ما أحسن افتتاح جواب الملائكة بتنزيه الله تعالى عن الشريك حينما كان مضمون السؤال عمَّا يتنزَّه الله تعالى عنه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

قوله تعالى: {سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ} أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا، وإذا انتفت الموالاة ثبت ضدّها، وهي المعاداة، يعني: فهؤلاء أعداؤنا، وأنت وليُّنا من دونهم.

محمد العثيمين[١٠]

لو علِمتَ مدى قرب الله تعالى منك، وإكرامه لك، وعلمه بك، وقدرته عليك، ما واليْتَ غيره حُبًّا له وخشيةً منه.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ} من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين إنَّما كانوا يعبدون الشياطين، إذ هي التي زيَّنت لهم الشرك، أمَّا الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلًا عن أن يأمروهم به.

الجزائري، أيسر التفاسير[١٧]

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

يوم الحشر والحساب لا يملك المعبودون لمن عبدوهم في الدنيا من دون الله نفعًا، ولا يملكون لهم ضرًّا، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذِّبون بها في الدنيا.

من معين الآية:

عَطَفَ الله تعالى نَفْيَ الضُّرِّ عَلى نَفْيِ النَّفْعِ للدَّلالة عَلى سَلْبِ مقدرتهم عَلى أيِّ شيْءٍ؛ فَإنَّ بَعْضَ الكائِناتِ يَسْتَطِيعُ أنْ يَضُرَّ ولا يَسْتَطِيعُ أنْ يَنْفَعَ كالعَقْرَبِ.

ابن عاشور، التحرير والتنوير[٣]

في جهنم ألوانٌ من العذاب النفسي الشديد، فأهل النار يُبكَّتون ويُوبَّخون، ويُعذَّبون بالنار التي كانوا بها يُكذِّبون.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}

عَوْدٌ إلى حال المشركين في الدنيا

(شبهاتهم حول رسالة محمد، والرد عليها)

المقطع الثامن

بعد بيان عذاب المشركين في نار جهنم يوم القيامة، ذكر تعالى الأسباب الموجبة للعذاب؛ (من فساد الاعتقاد، واشتداد العناد، وتكذيب النبي ﷺ والقرآن والإسلام كله)، ثم أنذرهم سوء العاقبة كالذين من قبلهم من الأمم القويَّة، ودعاهم إلى التأمُّل والتفكُّر في شأن النبي ﷺ، وأخبرهم بأنَّه تعالى أرسل إليهم الحق الدامغ الساطع وهو الوحي، وما عداه هو الباطل الذي لا حقيقة ولا بقاء لأثره(*)، قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

(*) الزحيلي، التفسير المنير (٢٠٧/٢٢).

معاني الكلمات

إِفْكٌ مُّفْتَرًى	كذب مُختَلَق
يَدْرُسُونَهَا	يقرؤونها
مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ	عُشْرَ ما أعطيناهم من القوَّة والنِّعم
نَكِيرِ	إنكاري عليهم
بِوَٰحِدَةٍ	بخصلة واحدة
مَثْنَىٰ	اثنين اثنين
جِنَّةٍ	جنون
يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ	يرمي بحجج الحقِّ على الباطل؛ فيدمغه

تفسير الآيات

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين المكذبين آياتنا المنزَّلة على رسولنا واضحة لا لَبْسَ فيها قالوا: ما هذا الرجل الذي جاء بها إلا رجل يريد أن يصرفكم عمَّا كان عليه آباؤكم، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذِب اختَلَقَه على الله، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لمَّا جاءهم من عند الله: ليس هذا إلا سحرًا واضحًا، لتفريقه بين المرء وزوجه، والابن وأبيه.

من معين الآية

{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ} ظاهرات وواضحات أنَّها من عند الله ليست من كلام البشر؛ لأنَّها لا تتناقض ولا يُكذِّب بعضها بعضًا.

محمد العثيمين(١٠)

الوحي آية من آيات الله عز وجل، ووجه كونه آية:

أولًا: أنَّه أعجز البشر وغير البشر أن يأتوا بمثله.

ثانيًا: أنَّ أحكامه عادلة، مُصلِحة للقلوب والأبدان، في كلِّ زمان وفي كلِّ مكان، وهذا لا يُمكِن أن يوجد في قوانين البشر.

ثالثًا: ما يشتمل عليه من الأخبار الصادقة، التي ليس فيها ما يُخالف الواقع بوجه من الوجوه، سواء كانت تلك الأخبار ماضية أو حاضرة أو مستقبلة.

محمد العثيمين(١٠)

{قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ} رفعوا شعار التقليد الأعمى لما كان عليه الآباء والأجداد؛ ليصدُّوا الناس عن دعوة الحق.

التفسير الموضوعي(٢)

{وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى} هذه الدعوى هم بأنفسهم يُكذِّبُونها؛ لأنَّهم كانوا يُسمُّون الرسول قبل أن يُوحى إليه (الأمين)، ويرون أنَّه أعظم الناس أمانةً وصدقًا، فما الذي قَلَبَهُ عن ذلك الوصف الذي يقرُّون به حتى قالوا: إنَّه مُفترٍ على الله عزو جل؟!

محمد العثيمين(١٠)

{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} وصفهم القرآن بالسحر؛ يدلُّ على أنَّه من أفصح الكلام وأبلغه وأبينه؛ وأنَّه يأخذ بالقلوب، ويجرُّ الناس إليه جرًّا، كما قال النبي: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» رواه البخاري (٥١٤٦).

محمد العثيمين(١٠)

مناسبة

ولمَّا بيَّن ما ردُّوا به الحقَّ، وأنَّها أقوال دون مرتبة الشُّبهة، فضلًا أن تكون حُجَّة؛ ذكر أنَّهم وإن أراد أحد أن يحتجَّ لهم؛ فإنَّهم لا مُستند لهم، ولا لهم شيء يعتمدون عليه أصلًا(*)، فقال تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾

وما أعطيناهم من كتب يقرؤونها حتى ترشدهم أنَّ هذا القرآن كذب اختلقه محمد، وما أرسلنا إليهم قبل إرسالك -أيُّها الرسول- من رسول يخوِّفهم من عذاب الله، "ويكون عندهم من أقواله وأحواله ما يدفعون به، ما جئتهم به؛ فليس عندهم علم ولا أثارة من علم(*)".

من معين الآية:

عجبًا لجاهلٍ يهرِفُ بما لا يعرف، ويُقدِمُ على القطع في المسائل العلميَّة ولا يُحجِم؛ فالمشركون لم يأتهم قبل القرآن كتاب، ومع ذلك يقطعون بأنَّ ما جاءهم به محمد ﷺ ليس كتابًا ولا وحيًا من عند الله!

هدايات القرآن الكريم[١١]

لا تحكم على صحَّة شيء أو بطلانه حتى تدرسه، ومن ثَمَّ تُحِقُّه أو تُبطِلُه[١١].

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾

وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل المشركون من قومك إلى مِعْشار ما وصلت إليه الأمم السابقة من القوَّة والمَنَعَة والمال والعدد، فكذَّب كلٌّ منهم رسوله، فما نفعهم ما أوتوا من المال والقوَّة والعدد، فوقع بهم عذابي، فانظر -أيُّها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم.

(*) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١٤٢٣-١٤٢٤).

من مَعين الآية

{فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ} شرف الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنَّ الله تعالى أضاف رسالتهم إليه، ومن المعلوم أنَّ مرتبة الرسالة أعلى مراتب البَشَر، فإنَّ مراتب البشر أربعة: النبوَّة المتضمِّنة للرسالة، والصديقيَّة، والشهداء، والصالحين.

باختصار: محمد العثيمين[١٠]

﴿*قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّما أُشير إليكم وأنصحكم بخصلة واحدة، هي أن تقوموا متجرِّدين من الهوى لله سبحانه، اثنين اثنين أو منفردين، ثم تتفكَّروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته، لتتبينوا أنَّه ﷺ ليس به جنون، ما هو إلا مُحذِّر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به.

من مَعين الآية

دعوة الإنسان المُعانِد للتأمُّل في الأمر والنظر فيه، حتى لا يتعجَّل بالردِّ.

محمد العثيمين[١٠]

قال ابن هبيرة في قوله تعالى: {قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ} أن يكون قيامكم خالصًا لله عز وجل، لا لِغَلَبَةِ خُصومكم؛ فحينئذ تفوزون بالهدى(*)؛ فالتفكُّر مع التجرُّد من الهوى؛ وسيلة للوصول إلى القرار الصحيح، والفكر الصائب(**).

(*) ذيل طبقات الحنابلة (١٤٨/٢)[١٣]

(**) المختصر في التفسير[١]

لو جُلِّيت مرآة الفكر من غبار التقليد والكبر لاتضحت عليها صورة الحقيقة، فشهدت لمن تفكَّر بأنَّ محمدًا أصدق البشر، وأعقلهم وآمنهم وأنصحهم.

هدايات القرآن الكريم[١١]

لا تبادر إلى الحكم على الأشياء بحكم الجمِّ الغفير، بل زِنْها بميزان التفكير، فتخرج برأي قد مخضه العقل، وأحكمته الرويَّة، فتعتنقه عن قناعة لا تهزُّها رياح العواطف أو المواقف.

هدايات القرآن الكريم[١١]

{أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ} قد لا يصل الإنسان إلى الحق إلَّا بمساعدة غيره؛ فإذا أمكن أن يصل إلى الحقِّ بنفسه فذاك، وإلَّا استعان بغيره.

محمد العثيمين[١٠]

{ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ} فائدة ذلك أنَّ التفرُّغ لله تعالى في خَلوة لا يُكدِّر صفوها أحد من الخلق، يُتيح للقلب أن يتفاعل في صفاءٍ مع مُعطيات التفكُّر، والشعور بمعيَّة الله، وحقائق الكون الكُبرى، ومثل ذلك لا يحصل في لَغَطِ النقاش الجماعي، وضوضاء الجدل المتعدِّد!

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥)[١٣]

من أسرار هذا الدين ولطائفه أنَّ باب عقيدته هو: التفكُّر! {قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ} آية في غاية الجمال والسمو! وإنِّي أشهد أنِّي مُذ ذقتها وجدت أنَّها بحرًا من الأسرار التربويَّة لا يعلم مداه إلا الله.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٦)[١٣]

{بِصَاحِبِكُم} المراد به محمد رسول الله، لكنَّه عبَّر عنه بالصاحب المضاف إليهم، فكان في الإضافة هنا فائدتان:

- الأولى: التشنيع عليهم والتوبيخ؛ كأنَّه يقول: هذا صاحبكم الذي تعرفون عقله وصدقه وأمانته، ليس رجلًا مُنكَرًا عليكم، فكيف تقولون: إنَّه ساحر وإنَّه مجنون...!

- الثانية: أنَّه كان الأولى بهم، وهو صاحبهم، أن يكونوا أولَّ الناس تصديقًا به، وأشدَّ الناس معونةً له.

محمد العثيمين[١٠]

{ما بِصَاحِبِكُم} استخدم الأوصاف التي تستلزم الموافقة والمتابعة، والتي تُدني الطرف الآخر وتقرّبه وتؤلِّف قلبه.

محمد العثيمين[١٠]

التفكُّر كما يكون في الآيات الكونية يكون كذلك في الآيات الشرعية؛ لأنَّه هنا طُلب منه التفكر فيما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي الرسول نفسه أيضًا.

محمد العثيمين[١٠]

لو قبلوا هذه الموعظة واستعملوها؛ لَتَبَيَّن لهم أكثر من غيرهم أنَّ رسول الله ليس بمجنون؛ لأنَّ هيئاته ليست كهيئات المجانين في خَنَقِهم، واختلاجهم ونظرهم، بل هيئتُه أحسنُ الهيئات، وحركاتُه أجلُّ الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبًا وسكينةً وتواضعًا ووقارًا، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلًا.

ثم إذا تأمَّلوا كلامه الفصيحَ ولفظَه المليحَ، وكلماتِهِ التي تملأ القلوب أمنًا وإيمانًا، وتُزكِّي النفوس وتُطهِّر القلوب، وتبعَثُ على مكارم الأخلاق وتحثُّ على محاسن الشِّيَم، وتُرهِّب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلَّم؛ رَمَقَتْهُ العيونُ هَيْبَةً وإجلالًا وتعظيمًا.

فهل هذا يشبه هذيان المجانين وعربدتهم وكلامهم الذي يُشبه أحوالهم؟!

فكل من تدبَّر أحواله وقصده استعلام: هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكَّر وحده أو مع غيرُهُ؛ جزم بأنَّه رسولُ الله حقًّا، ونبيَّه صدقًا، خصوصًا المخَاطَبين، الذي هو صاحبُهم يعرفون أوَّل أمرِه وآخرَه.

السعدي[٦]

{إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} استعمال الأسلوب المناسب لمقتضى الحال، فهنا ذَكَرَ الله الإنذار دون البشارة؛ لأنَّ المقام مقام تخويف والخطاب للمكذِّبين، لكن عند وصف الرسول ﷺ الوصف المطلق قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: ٤٥]، فبدأ بالبِشارة قبل الإنذار، أمَّا في المقامات التي تقتضي ذكر الإنذار دون غيره فيُستعمل فيها الإنذار دون غيره.

محمد العثيمين[١٠]

عمل قلبي

(التفكُّر)

"إنَّ ضياءَ الإيمان –أو نورَ الإيمان- التفكُّر"(*)

"وهو من أفضل أعمال القلب وأنفعها له"(**)

- **معنى التفكُّر:**

- **لغةً:** "تردُّد القلب في الشَّيء؛ يُقال: (تفكَّر) إذا ردَّد قلبه مُعتبِرًا".
- **شرعًا:** "تصرُّف القلب في معاني الأشياء لإدراك المطلوب".

- **مجالات التفكُّر:**

أولًا: مجالات التفكُّر النافع:

١- (ما كان لله والدار الآخرة)، وهو أعلى مجالات التفكُّر و أنفعها، ويُمكن حصره في خمسة أمور؛ وهي:

- **التفكُّر في آيات الله المنزلة**، وفهم مراد الله –عز وجل- منها: قال الحسن البصري: "إنَّما نزل القرآن ليُعمَل به؛ فاتَّخَذَ الناس قراءته عملًا".
- **التفكُّر في آيات الله المُشاهَدَة** –كالسموات والأرض والنبات- والاستدلال بها على أسمائه وصفاته، وإحسانه وجودِه.
- **التفكُّر في أنواع النِّعَم**، وفي سِعَتِه تعالى ورحمته وحِلْمِه.
- **التفكُّر في عيوب النفس**، وفي نقائص عمله وتقصيره فيه.
- **التفكُّر في واجب الوقت** –كما يُسمِّيه ابن القيم- ووظيفته، وجمع الهِمّ عليه: فيحتاج العبد إلى أن يُفكِّر في كل لحظة تمرُّ به: ما هو الأجدى والأنفع في أن تنشغِلَ به؟ وما كان من وقتك لله فهو حياتك في الحقيقة، وما عدا ذلك فليس من الحياة؛ وذلك أنَّ العبد إذا كان في صلاته، فليس له إلا ما عَقَلَ منها؛ فكذلك ليس له من العُمْرِ إلا ما كان فيه بالله ولله.

٢- النوع الآخر من الفكر النافع: (التفكير فيما ينفعه في دُنياه)، وهذا دون الأول كما لا يخفى.

ثانيًا: التفكُّر الضار والمذموم: (وهو التفكُّر فيما لا يعنيه) يقول ابن القيم –رحمه الله-: "أنفعُ الدواء: أن تشْغَلَ نفسك بالفِكْرِ فيما يعنيك، دون ما لا يعنيك؛ فالفكر دون ما لا يعنيك باب كل شرٍّ، ومن فكَّر فيما لا يعنيه، فاته ما يعنيه".

ويدخل في التفكُّر فيما لا يعني:

- **الخيالات والأماني الباطلة.**
- **الأمور التي لم نُكلَّف بالتفكر فيها**؛ كالتفكُّر في ذات الله عز وجل، وكُنْهِ صفاته، فهذا لا يُمكن الوصول إليه ولا يجوز التفكُّر فيه.
- **التفكُّر في الشهوات وطُرُق تحصيلها.**
- **التفكُّر في أمور الناس الخاصة.**

- **التفكُّر في الماضي إلا عند محاسبة النفس.**

- **التفكُّر في بعض الأمور المفضولة**؛ والتي تُشغِل عن التفكُّر في الأمور الفاضلة التي فيها سعادة العبد وحياته.

• من مُعَوِّقات التفكُّر:

- **انشغال الجوارح:** ببقاء الإنسان مشغولًا طيلة الوقت، فلا وقت لديه يُحاسب فيه نفسه أو يتفكَّر في أمره.

- **كثرة مخالطة الناس.**

- **كثرة الأكل:** "لا تشبعوا فتُطفِئوا نورَ المعرفةِ من قلوبِكم".

• الطريق إلى تحقيق التفكُّر:

هناك أربعة أمور تُعين النفس على التفكُّر، وتروِّضُها عليه حتى يصير سجيَّة من سجاياها، وخُلُقًا من أخلاقها:

١- الخَلْوَة.

٢- التعوُّد على التفكُّر.

٣- مزاولة بعض الأمور التي تُعين على التفكر:

مثال ذلك: أنَّ الشافعي كان يحمل عصًا إذا مشى، فقيل له: مالك بُدٌّ من إمساك العصا ولست بضعيف؟ فقال: "لأذكر أنِّي مسافر"، وهكذا: زيارة المقبرة؛ فإنَّها تذكِّر بالآخرة، وكذا: النظر في التواريخ وأخبار الشعوب الماضية...

٤- جمْعُ الهمِّ على ما هو بصدَدِه من العمل للآخرة، وعدم تشتيت القلب بالصوارف والعوارض المُشغِلَة.

• من ثمرات التفكُّر:

١) أنَّه يُورِثُ تعظيم المعبود، ومن ثمَّ الكفَّ عمَّا لا يليق.

٢) يورِث الحكمة وحياة القلب: كما قيل: "الفِكْرُ في الدنيا: حجاب عن الآخرة... والفكرة في الآخرة: تُورِث الحِكمة، وتُحيي القلوب".

٣) يورِثُ الاعتبار: "يقول سفيان بن عُيَيْنة: "التفكُّر مفتاح الرحمة؛ ألا ترى أنَّه يتفكَّر فيتوب؟!".

٤) **العمل للآخرة:** كما قيل: "لو طالعَتْ قلوب المتقين بفِكْرِها إلى ما قُدِّرَ في حُجُبِ الغيْبِ من خير الآخرة، لم يصْفُ لهم في الدنيا عيْش، ولم تقرَّ لهم فيها عين"؛ أي: فَهُم خُلِقوا للآخرة.

٥) **يُورِث القناعة والزهد في الدنيا.**

٦) **التعرُّف على النفس وما لها وما عليها:** قال الفُضيل: "الفِكْرُ مرآةٌ تُريكَ حسناتِكَ وسيئاتِك".

٧) **تجديد الإيمان.**

٨) **سبيل قويٌّ لمُدافعة الهوى:** قال ابن الجوزي: "اعْلَم: أَنَّ مُطْلَقَ الهوى يدعو إلى اللَّذة الحاضرة من غير فِكْرٍ في العاقبة، ويحُثُّ على نيْل الشهوات عاجلًا وإن كانت سببًا للألم والأذى في العاجل ومنعِ ملذَّاتٍ في الآجِل".

- **من أخبار أهل التفكُّر:**

- عن ربيعة الأسلمي رضي الله عنه، أنَّه كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا: "سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ"، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنْظُرُ فِي أَمْرِي يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ أُعْلِمُكَ ذَلِكَ، قَالَ: فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي، قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِآخِرَتِي فَإِنَّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ، قَالَ: فَجِئْتُ فَقَالَ: "مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟"، قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَقَالَ: "مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟"، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ سَلْنِي أُعْطِكَ وَكُنْتَ مِنَ اللهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِآخِرَتِي، قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي: "إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ". رواه أحمد (١٥٩٨٤).

- قالت أخت بشر بن الحارث: "دخل بِشْرٌ عليَّ ليلةً من الليالي، فوَضَعَ إحدى رِجلَيْه داخل الدار والأخرى خارجها، وبقيَ كذلك يتفكَّر حتى أصبح، فلمَّا أصبح، قلت له: في ماذا تفكَّرتَ طول ليلتك؟ فقال: تفكَّرتُ في بِشْر النصراني، وبِشْر

اليهودي، وبِشْر المجوسي، ونفسي واسمي بِشْر، فقلتُ: ما الذي سَبَقَ منكَ إليه حتَّى خصَّك؟! فتفكَّرتُ في تفضُّلِهِ عليَّ وحمِدتُّه على أن جعلني من خاصَّته، وألبسني لباس أحبَّائه".

- **أخيرًا:**

- تفكَّر في كل ما حولك: قال أبو سليمان الداراني: "إنّي لأخرُجُ من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلَّا رأيتُ لله عليَّ فيه نعمة، أو لي فيه عِبْرة" فاجعل هذا خُلُقًا لك، وعوِّد نفسك على الاعتبار وإعمال العقل ولا تكن من الغافلين.

- اعلم أنَّ: التفكُّر أصل كل طاعة؛ كما أنَّ أصل كل سيئة التفكُّر السيء المذموم.

- يقول عُمر بن عبد العزيز: "الفكرة في نِعَمِ الله أفضلُ العِبادة"، يقول ابن القيم: "وهذا لأنَّ التفكر عملُ القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح؛ فكان عمله أشرَفَ من عمل الجوارح".

(*) أخرجه ابن أبي الدنيا.

(**) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٥٤٦/١).

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذِّبين: ما سألتكم من ثواب أو أجر على ما جئتكم به من الهدى والخير -على تقدير وجوده- فهو لكم، ليس ثوابي إلَّا على الله وحده، وهو سبحانه على كلِّ شيء شهيد، فهو يشهد على أنّي بلَّغتُكم، ويشهد على أعمالكم، فيُوفِّيكم جزاءها.

من معين الآية

مما يحسُن في محاورة الخصم استخدام أسلوب التنزُّل معه، أي: على فرض أنّي سألت فهو لكم، لا تعطوني إيَّاه.

انظر: محمد العثيمين[١٠]

الداعي إلى الله عز وجل يُؤجر على دعوته سواء قُبلت أم رُفضت، ويُؤجر أيضًا على ما يناله عليها من أذًى، سواء كان الأذى قوليًّا أو فِعليًّا، وسواء كان يعود الأذى إلى ردِّ ما جاء به، أو إلى اتِّهام الداعي نفسه بما يخدش كرامته، وكل هذا حصل للنبي ﷺ.

محمد العثيمين[١٠]

اعلم أنَّك كلَّما أوذيت في الدعوة إلى الله تعالى فإنَّ ذلك زيادة أجر لك من جهة، وزيادة قوَّة لدعوتِك من جهة أخرى؛ لأنَّ الإنسان إذا أوذي على شيء لا بدَّ أن يجد من يتعاطف معه كما تقتضيه سنَّة الله عز وجل، حتَّى الذين يتكلَّمون بالباطل إذا أوذوا على باطلهم وجدوا من يتعاطف معهم، فكيف بمن يتكلَّمون بالحقِّ.

محمد العثيمين[١٠]

{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فيها تهديد الخصم بما تقتضيه أسماء الله تعالى وصفاته، والمعنى أنَّ الله تعالى سيشهد على تكذيبكم وعلى تبليغي إياكم.

محمد العثيمين[١٠]

مناسبة

ولمَّا بيَّن سبحانه الحُجج على أهل الباطل والشرك، بيَّن أنَّ ذلك سنَّته(*)، فقال:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾

قل -أيُّها الرسول-: إنَّ ربي يُسلِّط الحق على الباطل فيُبطله، وهو علَّام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه أعمال عباده.

من معين الآية:

{عَلَّامُ} بصيغة المبالغة؛ لأنَّ الغيوب كثيرة، فناسب أن يُضاف إليها العلم على سبيل المبالغة، كما أنَّ فيه مُبالغة أيضًا من حيث الكيفيَّة، لا من حيث الكميَّة فقط، فإنَّ علم الله سبحانه وتعالى للغيوب ليس عِلْمًا سطحيًّا، بل هو علم عميق يصل إلى أخفى شيء من الغيوب.

محمد العثيمين[١٠]

(*) المختصر في تفسير القرآن الكريم.

تخصيص وصف {عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ} من بين الأوصاف الإلهية؛ للإشارة إلى أنَّه عالم بالنوايا، وأنَّ القائل يعلم ذلك، فالذي يعلم هذا لا يجترئ على الله بادعائه باطلًا أنَّه أرسله إليكم.

ابن عاشور (٢٢/٢٣٨)[١٢]

{عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ} كذلك يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الوساوس والشُّبَه، ويعلم ما يُقابل ذلك ويدفعه من الحُجج.

السعدي[٦]

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذِّبين: جاء الحقُّ الذي هو الإسلام، وزال الباطل الذي لا يبدو له أي أثر أو قوَّة ولا يعود إلى نفوذه.

من معين الآية:

كل ما خالف شرع الله فهو باطل.

محمد العثيمين[١٠]

﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾

قل -أيُّها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذِّبين: إن ضللت عن الحقِّ فيما أبلِّغُكم فضرر ضلالي قاصر عليَّ، لا ينالُكم منه شيء، وإن اهتديتُ إليه فبسبب ما يُوحيه إليَّ ربي سبحانه، إنَّه سميع لأقوال عباده، قريب لا يتعذَّر عليه سماع ما أقول.

من معين الآية:

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي}

- هذا من باب التنزُّل مع الخصم، وإلَّا فمن المعلوم أنَّ الرسول ﷺ كان أهدى الناس، وهذا كقول الرجل المؤمن من آل فرعون: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ} [غافر: ٢٨].

- وأيضًا هو من باب التحدِّي لهؤلاء المكذِّبين للرسول عليه الصلاة والسلام؛ بأنَّه لو كان ضالًّا لظهر أثر ضلاله على نفسه، ولأهلكه الله عز وجل ولم يُمَكِّنْه، قال الله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة: ٤٤-٤٧] فلو كان ضالًّا فيما جاء به لكان ضلاله على نفسه، ولتبيَّن أمره.

محمد العثيمين[١٠]

ضلال العالم أو زلَّة العالم من أعظم ما يُفسد الناس؛ لأنَّه قدوة وتتبعه أمَّة.

محمد العثيمين[١٠]

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي} ينبغي للإنسان أن ينسب الخطأ إلى نفسه، وينسب الصواب إلى الله -عز وجل- لأنَّه بنعمته.

محمد العثيمين[١٠]

{وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ} النظر في الوحي (القرآن والسنة) سبب في الهداية؛ فمن العقل والبصيرة ألَّا نطلب الصواب من غيرهما.

محمد العثيمين[١٠]

{فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} الإضافة في (ربي) إضافة خاصَّة، لأنَّ الله ربه ورب غيره، لكن الإضافة هنا تُفيد العناية واللطف؛ فَمِن أكبر نِعَم الله على العبد أن يُوحي إليه بالرسالة، حتى ينال المرتبة العُلْيَا من بني آدم.

كذلك من أكبر نِعَم الله على العبد أن يُلهمه هذه الرسالة بـ(التعلُّم)، ولهذا كان العلماء ورثة الأنبياء.

محمد العثيمين[١٠]

قل: «اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي»[١٢].

{إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} السمع المضاف إلى الله سبحانه ينقسم إلى قسمين:

الأول: سمع بمعنى: إدراك المسموع، وهذا تارة يراد به:

- التهديد؛ ومثاله: {لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ} [آل عمران: ١٨١].

- وتارة يراد به التأييد؛ ومثاله: {قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه: ٤٦].

- وتارة يراد به بيان الإحاطة؛ ومثاله {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١]، أي: إحاطة الله سبحانه وتعالى لكل مسموع.

الثاني: سمع بمعنى: إجابة المسموع أو إجابة السائل، كقوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ} [إبراهيم: ٣٩].

محمد العثيمين[١٠]

قوله تعالى: {قَرِيبٌ} أي: بذاته؛ لكنَّه مع قربه بذاته مُستَوٍ على عرشه، فيجب أن ننزِّهه سبحانه وتعالى عمَّا لا يليق به، بحيث لا نتوهَّم أنَّه معنا في المكان، هذا لا يُمكن، بل هو قريبٌ بذاته مع عُلوِّه، ولا تظنَّ أنَّ الجمع بين القرب وبين العلوِّ فوق السماوات متناقض، لماذا؟

أولًا: أنَّ الله تعالى جمع بينهما لنفسه، ودلَّ عليهما كتابه.

ثانيًا: أنَّ الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، يعني: لو فُرِضَ أنَّ بين القرب والعلوِّ تناقضًا في حقِّ المخلوق؛ فإنَّ ذلك لا يلزم في حقِّ الخالق.

ثالثًا: ممَّا نجمع فيه بين القرب والعلوِّ: أنَّه قد يكون الشيء عاليًا وهو قريب -حتَّى من المخلوقات- مثل القمر، فهو عالٍ لكنَّه قريب كأنَّه معك.

محمد العثيمين[١٠]

أسماء حسنى

(السميع والقريب جلّ وعلا)

- **معنى اسم الله السميع جل جلاله:**

- **في اللغة:** على وزن فعيل، وهو إدراك الأصوات، والسمع للإنسان وغيره: هو حس الأذن أو ما وقر في الأذن من شيء سمعه، ويأتي بمعنى: أجاب.

- **في حقِّ الله تعالى:** قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "..السميع الذي يسمع جميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنُّن الحالات، فالسرُّ عنده علانية، والبعيد عنده قريب" **وسمعه تعالى نوعان:** أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، وإحاطته التامة بها، والثاني: سمع الإجابة للسائلين والداعين فيُجيبهم ويُثيبهم.

- **معنى اسم الله القريب جل جلاله:**

- **في اللغة:** نقيض البعد؛ قَرُبَ الشيء أي: دنا.

- **في حقِّه جل جلاله:** قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: "القريب أي: هو القريب من كل أحد، **وقربه نوعان:** قُرب عام من كل أحد، (وهو قرب يقتضي) العلم والمراقبة والإحاطة... وقُرب خاص من عابديه وسائليه؛ وهو قرب يقتضي المحبَّة والنصرة والإجابة والقبول...".

- مُناسبة الاقتران بين اسمي الله تعالى "السميع والقريب" في الآية:

لبيان أنَّ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء من حال من يكذب عليه، فهو جديرٌ بأنَّه يفضحه كما فضَحَكم في جميع ما تدَّعونه، ولا يبعد عليه شيء ليحتاج في إدراكه إلى تأخير لقطع مسافةٍ أو نحوها، بل هو مدركٌ لكلِّ ما أراد كلَّما أراد(*).

- الهدايات:

- الله جلَّ وعلا سميع لدعاء الخلق وألفاظهم، عند تفرُّقهم واجتماعهم، مع اختلافِ ألسنتهم ولُغَاتهم.

- السميع سبحانه يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيُعطيه الذي في قلبه.

- السميع يأتي بمعنى المجيب للدعاء، وهذا المعنى يَسْكُب في القلب الطمأنينة والأنس بالله تعالى وحسن الظن به والرجاء فيما عنده.

- الآثار السلوكيَّة والعمليَّة:

- الإيمان باسم الله السميع، يُثمِر في القلب **مراقبة الله تعالى** فيما يقوله اللسان، سواء أسرَّ القول أو جهر به، وسواء كان ذلك في جماعة أو في خلوة.

- إذا أيْقن العبد بقرب ربِّه ورحمته **دخل على ربِّه مباشرة وتضرَّع بين يديه** وألقى حاجته إليه وحده.

- ناجِ القريب سبحانه بالدعاء، **ولا ترفع صوتك به**، فالله سبحانه أثنى على عبده زكريا بقوله: {إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا} [مريم: ٣].

- **اصبر على ما تُلاقيه من أذى** الخلق وخاصة من الكافرين والمنافقين، لأنَّ الله تعالى يسمع كلامهم، وسيُنصِف عباده المؤمنين.

- **تقرَّب إلى ربِّك بالطاعات**، فالله –عز وجل- قريب ممَّن أطاعه، قال تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]، وقال في الحديث القدسي: «وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا» متفق عليه.

- من ضوء الهدي النبوي في اسمَي الله السميع والقريب جل جلاله:

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إذَا أشْرَفْنَا علَى وادٍ، هَلَّلْنَا وكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أصْوَاتُنَا، فَقالَ النبيُّ ﷺ: **«يا أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، إنَّه معكُمْ إنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وتَعَالَى جَدُّهُ»** رواه البخاري (٢٩٩٢).

أيِ: ارْفُقوا بأنفُسِكم، فإنَّكم تدعون من يَسمَعُ سِرَّكم ونَجْواكم، القَريبُ مِنكم، بلْ هو أقرَبُ إليكمْ مِن حَبْلِ الوَريدِ، وهو معكم بعِلمِه وإحاطتِه، وفي هذا إشارةٌ يَأمُرُهم فيها بخَفضِ أصْواتِهم.

- من التأمُّل في الآيات الكونيَّة وربطها باسمي الله تعالى "السميع القريب":

- سمع نداء يونس عليه السلام في ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، لما قال: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فأخرجه من الظلمات إلى النور.

- سمع المجادلة من فوق سبع سماوات وعائشة -رضي الله عنها- لم تسمع مع قربها منها؛ فأنزل سورة بها وأجابها بقربه وسمعه سبحانه.

(*)البقاعي، نظم الدرر (٥٣٥/١٥).

الخير كلُّه من عنده سبحانه

ختام تخويفي

المقطع التاسع

بعد بيان أسباب العذاب، والرد على شبهات الكفار... أخبر تعالى عن إيمانهم حين مُعاينة العذاب يوم لا ينفع إيمان، لفوات الأوان(*) قال تعالى:

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ٥٢ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ ٥٤﴾.

معاني الكلمات

فَزِعُواْ	خافوا عند مُعاينة العذاب
فَلَا فَوۡتَ	فلا نجاة لهم، ولا مهرب
وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ	كيف لهم تناول الإيمان، وهم في الآخرة؟
وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ	يرمون بالظُّنون الكاذبة
بِأَشۡيَاعِهِم	أمثالهم من كفَّار الأمم السَّابقة
مُّرِيبٖ	مُحدِث للرِّيبة والقلق

(*) الزحيلي، التفسير المنير (٢١٥/٢٢).

تفسير الآيات

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١﴾

ولو ترى -أيُّها الرسول- إذ فزع هؤلاء المكذِّبون لمَّا عاينوا العذاب يوم القيامة، فلا مفرَّ لهم مِنه، ولا ملجأ يلتجِئون إليه، وأُخِذُوا من مكان قريب سهل التناول من أول وهلة، لو ترى ذلك لرأيت أمرًا عجبًا.

من معين الآية:

{وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ} لا من مكان بعيد؛ لأنَّ من قَدِرَ على الهرب رُبَّما لا يُتمكَّن منه لأخذه بالعقوبة إلَّا من مكان بعيد، أمَّا هؤلاء فيُؤخَذون من مكان قريب، لأنَّهم لا فَوْت لهم.

محمد العثيمين[١٠]

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ٥٢﴾

وقالوا حين رَأَوا مصيرهم: آمنَّا بيوم القيامة، وكيف لهم تعاطي الإيمان وتناوله وقد بَعُدَ عنهم مكان قَبُول الإيمان بخروجهم من دار الدنيا التي هي دار عمل لا جزاء، إلى الدار الآخرة التي هي دار جزاء لا عمل؟!

﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ ٥٣﴾

وكيف يحصل منهم الإيمان ويُقبل، وقد كفروا به في الحياة الدنيا، ويرمون بالظنّ من جهة بعيدة عن إصابة الحقّ، فيقولون في الرسول ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر؟!

من معين الآية:

{وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ}: بقذفهم الباطل، ليُدحضوا به الحقَّ ويُزيلوه، ولكن لا سبيل إلى ذلك؛ كما لا سبيل للرَّامي من مكان بعيد إلى إصابة الغرض؛ فكذلك الباطل من المُحال أن يغلب الحقَّ أو يدفعه، وإنَّما يكون له صَوْلة وقت غفلة الحقّ عنه، فإذا برز الحقُّ وقاوم الباطل؛ قَمَعَهُ.

السعدي[٦]

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾

ومُنِعَ هؤلاء المكذبون من الحصول على ما يشتهونه من ملذات الحياة، ومن التوبة من الكفر والنجاة من النار، والعودة إلى الحياة الدنيا، كما فُعِلَ بأمثالهم من الأمم المُكَذِّبَة من قبلهم، إنَّهم كانوا في شكٍّ مما جاءت به الرسل من توحيد الله والإيمان بالبعث، شكٌّ باعثٌ على الكفر.

من معين الآية:

أعظم العذاب أن يُمنع الإنسان عن مُرادِه؛ كما قال تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤/ ٤٩٦)[١٣]

شرب عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- ماءً باردًا، فبكى فاشتدَّ بُكاؤه، فقيل له: ما يُبكيكَ؟! قال: ذكرتُ آية في كتاب الله: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} فعرفت أنَّ أهل النار لا يشتهون إلَّا الماء البارد، وقد قال الله عز وجل: {أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ} [الأعراف: ٥٠].

تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٨)[١٣]

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} فسَّرها بعض السلف: بأنَّهم اشتهوا التوبة ساعة الرحيل، قال الحسن البصري رحمه الله: "اتَّقِ الله يا ابن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت".

تفسير ابن رجب (١/ ٣٠٤)[١٣]

{كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ} وفائدة هذا التشبيه: تذكير الأحياء منهم -وهم مُشركو أهل مكَّة- بما حلَّ بالأمم من قبلهم؛ لِيُوقنوا أنَّ سُنَّة الله واحدة، وأنَّهم لا تنفعهم أصنامهم التي زعموها شفعاء عند الله.

ابن عاشور (٢٢/٢٤٥)[١٢]

بماذا تريد أن تلقاه

ختاماً

هذه السورة الكريمة ناقشت قضية اليوم الآخر، والإيمان برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالقرآن وأنَّه من عند الله، وما سيحصل بين الكفار من حوارات في نار جهنم، مُتَّخِذَة أسلوبًا جديدًا في بيان هذه الأمور وعاقبتها وهو: أسلوب شكر الله على نعمه.

فهدَّدت المشركين ووعظتهم بما حلَّ ببعض الأمم المشرِكَة من قبل، وأنَّ جَعْلَهم لله شركاء كُفران لنعمة الخالق؛ فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتَّقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسُخِّرَت لهم الخيرات مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فَسُلِّطَت عليه البلايا في الدنيا، وأعدَّ لهم العذاب في الآخرة؛ مثل سبأ.

وحذَّرت السورة من تغرير الشيطان، وأنَّه عدوٌّ للإنسان.

وبيَّنت أنَّ الإيمان والعمل الصالح -لا الأموال ولا الأولاد- هما قِوام الحكم والجزاء عند الله.

وأنَّه ما من قوَّة في الأرض ولا في السماء تعصِم من بطش الله، وما من شفاعة عنده إلَّا بإذنه.

وخُتمت بأنَّ العودة إلى الحياة بعد الممات لتدارك ما فات أمرٌ مُحال.

نسأل الله تعالى الهدى ونور البصيرة، وأن يوفِّقنا لحمده وشكره على الوجه الذي يرضاه عنَّا.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

المراجع

التعريف بالسورة

١ **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، نخبة من العلماء. (ط٦)، ١٤٤١هـ.

٢ **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مصطفى مسلم وآخرون. (ج٦). جامعة الشارقة: الإمارات، ١٤٣١هـ.

٣ **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي. الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٨٤ هـ.

٤ **الأساس في التفسير**، سعيد حوَّى. (ط٦)، دار السلام: القاهرة، ١٤٢٤هـ.

غريب الآيات

٥ **السراج في بيان غريب القرآن**، محمد الخضيري. مجلة البيان، الرياض، ١٤٢٩هـ.

التفسير

١ **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، نخبة من العلماء. (ط٦)، ١٤٤١هـ.

٢ **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مصطفى مسلم وآخرون. (ج٦). جامعة الشارقة: الإمارات، ١٤٣١هـ.

٣ **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي. الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٨٤ هـ.

المناسبات

٤ **الأساس في التفسير**، سعيد حوَّى. (ط٦)، دار السلام: القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٦ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، ت: سعد بن فواز الصميل. (ط١)، دار ابن جوزي، ١٤٢٥هـ.

٧ **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة بن مصطفى الزحيلي. (ط٤)، دار الفكر المعاصر: دمشق، ١٤١٨هـ.

٨ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.

٩ **تفسير البحر المحيط**، محمد بن يوسف بن حيان، ت: عادل أحمد، علي معوض، (ط١)، دار الكتب العلمية: ١٤١٣هـ.

٢ **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، مصطفى مسلم وآخرون. (ج٦). جامعة الشارقة: الإمارات، ١٤٣١هـ.

٤ **الأساس في التفسير**، سعيد حوَّى. (ط٦)، دار السلام: القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٦ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، ت: سعد بن فواز الصميل. (ط١)، دار ابن جوزي، ١٤٢٥هـ.

٨ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.

١٠ **تفسير القرآن الكريم (سورة سبأ)**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. (ط١)، القصيم، ١٤٣٦هـ.

١١ **هدايات القرآن الكريم**، شركة معالم التدبر. (ط١)، الرياض، ١٤٤٠هـ.

من معين الآيات

١٢ **القرآن تدبر وعمل**، مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي. altadabbur.com

١٣ **ليدّبروا آياته: حصاد سبع سنوات من التدبر**، مركز تدبّر للاستشارات التربوية والتعليميّة. دار الصميعي: الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٤ **ليدّبروا آياته: المجموعة الثامنة**، مركز تدبّر للاستشارات التربوية والتعليميّة. الرياض، ١٤٣٦هـ.

١٥ **ليدّبروا آياته: المجموعة التاسعة**، مركز تدبّر للاستشارات التربوية والتعليميّة. الرياض، ١٤٣٧هـ.

١٦ **أفياء الوحي**، عبدالله بلقاسم. دار طيبة الخضراء: الرياض، ١٤٣٧هـ.

١٧ **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر، جابر بن موسى الجزائري. (ط٥)، مكتبة العلوم والحكم: المدينة النبوية، ١٤٢٤هـ.

١٨ **{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها}**، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، (ط١)، ١٤٣٩هـ.

١٠ **تفسير القرآن الكريم (سورة سبأ)**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. (ط١)، القصيم، ١٤٣٦هـ.

أسماء الله الحسنى

٦ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، ت: سعد بن فواز الصميل. (ط١)، دار ابن جوزي، ١٤٢٥هـ.

١٩ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، (ط١)، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ.

٢٠ **بدائع الفوائد**، ابن قيِّم الجوزيَّة، ت: علي بن محمد العمران وبكر بن عبدالله أبو زيد، (ج١)، دار عالم الفوائد.

٢١ **الأسماء الحسنى**، موقع أ.د. خالد بن عثمان السبت https://cutt.us/t8T19

أعمال القلوب

٢٢ **أعمال القلوب**، خالد بن عثمان السبت، (ط٢ – تحت الطبع).

الأحاديث النبوية

٢٣ **الدُّرر السَّنية، الموسوعة الحديثية**، شروح الأحاديث، علوي بن عبدالقادر السَّقَّاف، dorar.net

المادة الإثرائية

٣٠ **دورة الأترجة القرآنيَّة - تفسير سورة سبأ**، صالح بن عبدالرحمن الخضيري. https://cutt.us/twIAH

الفهرس

المقدمة	١
ما مسابقة الوحيين	٢
محتوى الكتيب	٣
التعريف بالسورة	٦
المقدمة: استحقاق الله تعالى للحمد؛ لكماله وإنعامه.	٩
أسماء حسنى (الحكيم والخبير)	١٢
أسماء حسنى (الرحيم والغفور)	١٤
المقطع الأول: إثباتُ البعث والردُّ على منكريهِ.	١٨
أسماء حسنى (العزيز والحميد)	٢٤
أحاديث نبوية	٢٩
المقطع الثاني: مثال عملي للأوَّابين الشاكرين، وعناية الله بهم.	٣٢
أسماء حسنى (البصير)	٣٧
عمل قلبي (الشكر)	٤١
أحاديث نبوية	٤٥
المقطع الثالث: مثال واقعي لعاقبة من كفر بأنعم الله.	٤٧
أسماء حسنى (الحفيظ)	٥٥
المقطع الرابع: إقامة الحجَّة على استحقاق الله وحده للعبادة، ووجوب شكره.	٥٩
أسماء حسنى (العلي والكبير)	٦٣
مناسبة	٦٩
أحاديث نبوية	٧٠
المقطع الخامس: استعجال المكذبين للعذاب، وحالهم عند وقوعه.	٧٢
مناسبة	٧٤
مناسبة	٧٥
أحاديث نبوية	٧٨

المقطع السادس: طبيعة المترفين وجوابهم لرسلهم. ٨٠
أحاديث نبوية ٨٨

المقطع السابع: عودٌ إلى مشاهد القيامة (تقريع الكفار أمام معبوداتهم). ٩٠

المقطع الثامن: عودٌ إلى حال المشركين في الدنيا (شبهاتهم حول رسالة محمد ﷺ، والرد عليها). ٩٥
مناسبة ٩٩
عمل قلبي (التفكُّر) ١٠٢
مناسبة ١٠٧
أسماء حسنى (السميع والقريب) ١١٠

المقطع التاسع: ختام تخويفي. ١١٤

الختام ١١٩

المراجع ١٢٠

نادي النورين
١٤٤٤هـ

حقيقٌ بالإنسان أن يُنفق أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران.

وليس ذلك إلا **بالإقبال على القرآن وتفهُّمه وتدبُّره والعكوف بالهمَّة عليه**؛ فإنَّه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد.

نادي النورين
١٤٤٤هـ